

موقف المسلمين على معني الأمة الوسطية في القرآن

بحث جامعي مقدم للحصول على الشهادة الجامعية الأولى (S1)
في التفسير و الحديث للبرنامج التخصصي



اعداد

عبد الله هاشم

رقم القيد : E 53206019

جامعة سونان أمبيل الإسلامية الحكومية

كلية أصول الدين

البرنامج التخصصي بشعبة التفسير والحديث

سورابايا

1431 هـ - 2010 م

PERNYATAAN KEASLIAN

Saya yang bertandatangan dibawah ini :

Nama : Abdullah Hasyim

NIM : E53206019

Program Studi : Tafsir Hadist Program Khusus Tahun 2006

Perguruan Tinggi : Fakultas Ushuluddin IAIN Sunan Ampel Surabaya

Judul Skripsi : **موقف المسلمين على معنى الأمة الوسطية في القرآن**

Dengan ini menyatakan bahwa skripsi ini secara keseluruhan adalah hasil penelitian atau karya saya sendiri, bukan merupakan pengalihan atau pemikiran milik orang lain yang saya akui sebagai hasil pemikiran saya, kecuali pada bagian-bagian yang dirujuk sumbernya.

Demikian surat pernyataan ini saya buat dengan sebenarnya dan tanpa paksaan dari siapapun.

Surabaya, 04 Maret 2010

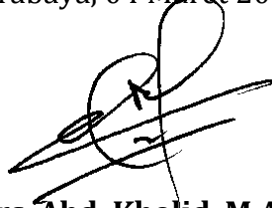
Yang menyatakan,


Abdullah Hasyim

PERSETUJUAN PEMBIMBING

Skripsi ini berjudul “موقف المسلمين على معنى الأمة الوسطية في القرآن” oleh Abdullah Hasyim telah disetujui dan diajukan.

Surabaya, 04 Maret 2010



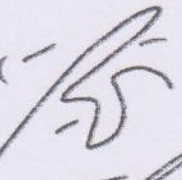
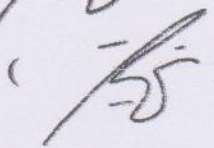


Drs. Abd. Kholid, M.Ag
NIP :196502021996031003

القرار والقبول

لقد أجرت كلية أصول الدين مناقشة هذا البحث الجامعي أمام مجلس المناقشة في 4 مارس 2010 وقرر بأن صاحبها ناجح فيها للحصول على الشهادة الجامعية الأولى (S1) في التفسير والحديث للبرنامج التخصصي.

أعضاء لجنة المناقشة :

- () الرئيس / المشرف : دكتورندوس عبد الخالد الماجستير
رقم التوظيف : 19650202199631003
- () السكرتير : مشرفة الماجستير
رقم التوظيف : 197106141998032002
- () المناقش الأول : دكتورندوس محمد طاهر عروف الماجستير
رقم التوظيف : 194503091982031001
- () المناقش الثاني : دكتورندوس أحمد خليل زهدي الماجستير
رقم التوظيف : 19500921988031001

سورابايا ، 04 مارس 2010

وافق على هذا القرار عميد كلية أصول الدين

لجامعة سونان أمبيل الإسلامية الحكومية



دكتور معصوم الماجستير

رقم التوظيف : 196109141979031001



KEMENTERIAN AGAMA
UNIVERSITAS ISLAM NEGERI SUNAN AMPEL SURABAYA
PERPUSTAKAAN

Jl. Jend. A. Yani 117 Surabaya 60237 Telp. 031-8431972 Fax.031-8413300
E-Mail: perpus@uinsby.ac.id

LEMBAR PERNYATAAN PERSETUJUAN PUBLIKASI
KARYA ILMIAH UNTUK KEPENTINGAN AKADEMIS

Sebagai sivitas akademika UIN Sunan Ampel Surabaya, yang bertanda tangan di bawah ini, saya:

Nama : Abdullah Hasyim
NIM : E53206019
Fakultas/Jurusan : Ushuluddin/ Tafsir Hadist Program Khusus 2006
E-mail address : Abdullah.hasyim85@gmail.com

Demi pengembangan ilmu pengetahuan, menyetujui untuk memberikan kepada Perpustakaan UIN Sunan Ampel Surabaya, Hak Bebas Royalti Non-Eksklusif atas karya ilmiah :

Sekripsi Tesis Desertasi Lain-lain (.....)
yang berjudul :

موقف المسلمين على معني الأمة الوسطية في القرآن


.....
.....

beserta perangkat yang diperlukan (bila ada). Dengan Hak Bebas Royalti Non-Eksklusif ini Perpustakaan UIN Sunan Ampel Surabaya berhak menyimpan, mengalih-media/format-kan, mengelolanya dalam bentuk pangkalan data (database), mendistribusikannya, dan menampilkan/mempublikasikannya di Internet atau media lain secara **fulltext** untuk kepentingan akademis tanpa perlu meminta ijin dari saya selama tetap mencantumkan nama saya sebagai penulis/pencipta dan atau penerbit yang bersangkutan.

Saya bersedia untuk menanggung secara pribadi, tanpa melibatkan pihak Perpustakaan UIN Sunan Ampel Surabaya, segala bentuk tuntutan hukum yang timbul atas pelanggaran Hak Cipta dalam karya ilmiah saya ini.

Demikian pernyataan ini yang saya buat dengan sebenarnya.

Surabaya, 04 Maret 2010
Penulis


(Abdullah Hasyim)

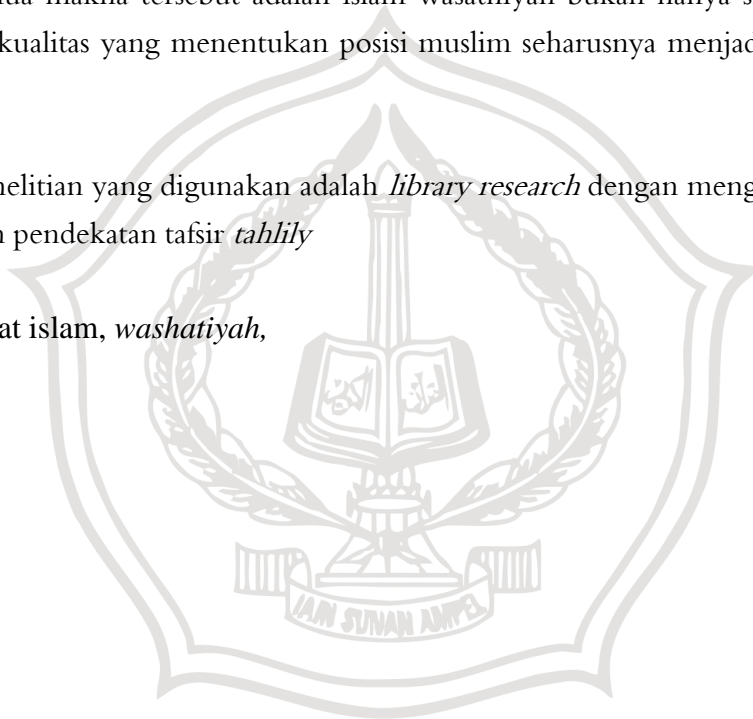
ABSTRAK

Abdullah Hasyim, *Posisi umat islam tentang makna “al-ummah al-wasathiyah” dalam Quran.*

Penelitian ini dilakukan dalam rangka mencari makna *wasathiyah* dengan menggunakan sudut pandang Quran. Mencari bagaimana pendapat-pendapat ahli tafsir terhadap kata tersebut, menyimpulkannya dan mengaktualisasikan pandangan tersebut sehingga menjadi sikap yang proposional yang sesuai atau paling tidak mendekati bagaimana al-Quran memaknai kata tersebut. Seperti memadankannya dengan kata *tawazun* dan *ta’adul*. Yang mana semua makna tersebut adalah islam wasathiyah bukan hanya simbol melainkan juga peran dan kualitas yang menentukan posisi muslim seharusnya menjadi *rahmatan li al-‘alamin*.

Jenis penelitian yang digunakan adalah *library research* dengan menggunakan metode kualitatif dengan pendekatan tafsir *tahlily*

Keywords : Umat islam, *wasathiyah*,



الفهرس

1.....	الفهرس
6.....	كلمة الشكر والتقدير
8.....	الإهداء
8.....	الحكمة
10.....	ABSTRAK
11.....	الباب الأول
16.....	ج. أهداف البحث
17.....	هـ. الدراسة السابقة
18.....	و. توضيح المصطلحات و تحديد الموضوع
20.....	ز. منهج البحث
22.....	ح. خطة البحث
24.....	الباب الثاني
24.....	الفصل الأول : تعريف الوسطية
27.....	الفصل الثاني : تحرير معنى الوسطية
30.....	أسس الوسطية
33.....	ملامح الوسطية
35.....	الباب الثالث
35.....	الفصل الأول : الوسطية خاصية الدين

35	جامع البيان عن تأويل آية القرآن، لابن جرير الطبري
35	تفسير القرآن العظيم لابن كثير
51	المبحث الأول : الخيرية
53	المبحث الثاني : الاستقامة
55	المبحث الثالث : اليسر ورفع الحرج
58	المبحث الرابع : البيئية
60	المبحث الخامس : العدل و الحكمة
62	الفصل الثاني : مظاهر الوسطية في خلقه و شرعه
63	المبحث الأول : مظاهر الوسطية في خلقه
66	المبحث الثاني : مظاهر الوسطية في شرعه
67	الوسطية في الاعتقاد :
69	الوسطية في العبادات :
72	الوسطية في الأخلاق :
74	الوسطية في التشريع :
78	الفصل الثالث : الوجوب علي القيام بالوسطية
83	الباب الرابع
83	الفصل الأول : الخلاصة
85	الفصل الثاني : الاقتراح
86	قائمة المراجع

الباب الأول

أ. خلفية البحث

وإن من رحمة الله عز وجل بهذه الأمة أن بعث فيها أفضل رسله خاتم النبيين محمد صلي الله عليه وسلم، وأنزل عليه أفضل كتبه وأكملها وأقومها وأشملها لخيري الدنيا والآخرة.

وكذلك ليكون معجزة للنبي صلي الله عليه وسلم ولتصديق لرسالته و في الوقت نفسه دليل علي نبوته. وكان القرآن نقدا إلهيا نحو المجتمع المملوؤة بالأخلاق الرذيلة¹. التي سببها تقديم الدنيا علي الآخرة كما عمل اليهود واحيانا قدّموا الآخرة بالزهد ولا يبالي دنياهم كأعمال النصارى. ومن هدف رسالة الرسول لهذه الأمة إصلاح مما عمله اليهود والنصارى من الضلال. فيكون هذه الأمة قوما عدولا بين الائمة غيرها.

ولقد امتن الله عز وجل بهذه النعمة العظيمة علي هذه الأمة في أكثر من آية؛ كما في قوله سبحانه: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ).²

ووصف رسوله صلي الله عليه وسلم بأنه رحمة للعالمين؛ قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ).³

¹ فزل الرحمن، Tema Pokok Al-Quran، المترجم: أنس محيودين، (بندوع:فستاكا، 1996) (55).

² ال عمران: 163

³ الأنبياء: 107

ووصف كتابه الكريم بأنه يهدي للتي هي أقوم، وأن فيه تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة؛ قال تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا).⁴

وقال سبحانه: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ).⁵

وصدق الله العظيم، ومن أصدق من الله حديثاً؛ فإن المتأمل في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله الكريم صلي الله عليه وسلم يجد هذه المعاني العظيمة واضحة وضوح الشمس، حيث لا يخفي علي من له أدني بصيرة ما تضمنه كتاب الله عز وجل وسنة الرسول صلي الله عليه وسلم من الهدى والرحمة والشمول لكل مصالح العباد، مع مراعاة لكل جوانب النفس البشرية ومخاطبتها بمنهج متوازن وميزان قسط وعدل لا يطغي فيه جانب علي جانب، ولا يرجح فيه طرف علي آخر.

ولا غرابة في ذلك فهو صادر عن الله عز وجل، وما صدر عن الله تعالى فهو الكامل الشامل المتوازن؛ لأنه صدر عن الكامل في صفاته وأفعاله، الذي لا حدود لكماله، العالم بمصالح خلقه، والحكيم الذي يضع الشيء في موضعه الذي يجب أن يوضع فيه، الرحيم الذي يرحم عباده بما يأمرهم به من خير وينهاهم عنه من شر؛ فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.⁶

⁴ الإسراء : 9، انظر ما كتبه الإمام الشنقيطي - رحمه الله تعالى - من كلام طويل ونفيس عند هذه الآية في تفسيره المبارك أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الجزء 3 (بيروت، عالم الكتب 1983) (372-417).

⁵ النحل : 89

⁶ القرصاوي، *Kajian analitik : Karakteristik Islam* ترجمة رافع منور و تاج الدين، (سورابايا، رسالة كوستي

(1995) (167).

وإن من أبرز سمات المنهج الرباني الهادي للتي هي أقوم أنه متسم بالشمول والتوازن والوسطية والعدل؛ ولذلك امتن الله عز وجل علي هذه الأمة التي أنزل إليها كتابه الكريم ومنهجه القويم بقوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَي الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ)⁷.

ولكن قد ظهر في هذه الأزمنة المتأخرة من فهم منحرف لمعنى (الوسطية) والأمة الوسط؛ حيث أصبحنا نقرأ ونسمع من بعض المنتسبين للعلم والدعوة تفسيراً غريباً لمفهوم الوسطية في هذا الدين يخالف المفهوم الشرعي الصحيح لها. وقد أثمر هذا المفهوم المنحرف للوسطية عندهم إلى تمييع الدين وأحكامه وعدم أخذه بقوة وجد، وهذا بدوره أدى إلى بعض التنازلات في ثوابت هذا الدين وأخلاقه وقيمه؛ زاعمين أن هذا من الوسطية والمرونة والتيسير، وبخاصة في هذا الزمان الذي كثر فيه الفساد وكثرت فيه الضغوط.⁸

لقد ظهرت في واقعنا المعاصر مواقف وأفكار مضطربة وغريبة على منهج الكتاب والسنة، ومخالفة لمنهج السلف الصالح أصحاب القرون المفضلة. ولو أن هذه المواقف صدرت عن طوائف الضلال والبدع لكان الأمر غير مستغرب لأن كل إناء بما فيه ينضح، ولكن المستغرب صدورها من بعض المنتسبين والداعين إلى طريقة

⁷ البقرة : 143

⁸ أديان حسيني، *Hegemoni Kristen-Barat*، (جاكرتا، كيمنا انساني 2006) (47).

السلف الصالح⁹ ؛ مما أدى إلى تشويه الحق أو لبسه بالباطل، كما أدى إلى مزيد من الفرقة والاختلاف بين أصحاب المنهج الحق الواحد.

وقد ظهر في حياة كثير من الناس من المخالفة لحد الاعتدال في هذا الدين - سواء إلى الغلو أو إلى التقصير - ويتضح هذا في كثير من جوانب الدين سواء ما كان منه في جانب الاعتقاد؛ كمفهوم الإيمان، والقدر، والأسماء والصفات، والتوكل والخوف والرجاء، أو ما كان منه في جانب العبادة والنسك ما بين غال ومقصر، أو في جانب الأخلاق والسلوك ما بين مُفَرِّط ومُفْرِط.

وهذا المفهوم المنحرف لمعني الوسطية، ولقد انطلق بعض من يدعو إلى هذه الأفكار من الفهم الخاطئ للتشديد والتيسير؛ وكذلك - ما برز بين أفكار المتعلمين الحديثة التي اتبعت أفكار الغربيين - خوفاً أن يُقال لهم المتأخرين في العلم والمنهج. حيث يري بعضهم أن الالتزام بهذا الدين وأخذه بقوة كما جاء في كتاب الله عز وجل وسنة الرسول صلي الله عليه وسلم لا يستطيعه كثير من الناس في هذا الزمان، وأن دعوة الناس إلى ذلك هو من التشديد والغلو المنافي للوسطية، ولذلك أصبحنا نسمع من بعض العوام بل من بعض الدعاة من يصم بعض أبنائه أو إخوانه الملتزمين بالسنة الصحيحة في عبادتهم وسلوكهم بأنه متشدد أو متطرف. وهذا كله إنما نشأ من الفهم المنحرف للوسطية والتشديد والتيسير.

و وجود انحراف المعني الوسطية بين الأمة والفهم فيه يسبب إلى تنازلات في الأخلاق في هذا الدين. يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - : ((وكلا طرفي الأمور ذميم، وخير الأمور أوسطها، والأخلاق الفاضلة كلها وسط بين طرفي إفراط

⁹ يوسف القرضاوي، الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم، (مكتبة وهبة 1995) (24).

وتفريط، وكذلك الدين المستقيم وسط بين انحرافين، وكذلك السنة وسط بين بدعتين))¹⁰.

وقد جعل عنوان هذا البحث العلمي من الآية الكريمة من سورة البقرة؛ وهي قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا).¹¹ وذلك لانطلاق هذه الآية في بيان عظمة هذا الدين وشموله، وبركته وخيره على البشرية، من جوانب عدله، ووسطيته وتوازنه في عقائده وأحكامه، وما فيه من الميزان الحق، واليسر والخير والتوافق مع العقل السليم والفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها.

ونظرًا لبعثنا عن تدبر كتاب ربنا عز وجل وانشغالنا عن ذلك بمناهج بشرية جاهلة ظالمة؛ بعضها يضخم جانب العقل، والبعض الآخر يضخم جانب الروح، وبعضها يقدر أقوال الرجال وآراءهم، وغير ذلك من مصادر التلقي المنحرفة؛ كل ذلك نشأ عنه مناهج ومواقف معوجة غير متوازنة؛ بعضها ينزع إلى الغلو والإفراط، وبعضها ينزع إلى الجفاء والتفريط. والخير كله والعدل والشمول والتوازن موجود في كتاب ربنا عز وجل الذي: (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)¹² وصدق الله العظيم في وصف المناهج البشرية بقوله سبحانه: (وَلَوْ كَانَتْ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)¹³.

فبناء على ذلك كلها ركز الباحث النقاش حول معني الوسطية وأين موقف هذه الأمة من هذه المصطلحة. ولما خالف بعضهم و يأتي به انحراف معني "الوسطية" فقد الا ليشترى الدنيا بثمان قليل - مع أنهم عرفوا أنّ الأخرة خير من

¹⁰ ابن القيم، روضة المحبين، (بيروت، دار الكتب العلمية 1995) (220).

¹¹ البقرة : من الآية 143

¹² فصلت : 42

¹³ النساء : 72

الأولي - ؟ وهل كانت الأمة فهموا وعملوا بجميع قوته إلى معناه الصحيح الشرعي علي المنهج القرآني؟.

ب. قضايا البحث

إنّ من تعاريف البحث العلمي, هو محاولة لاكتشاف المعرفة والتنقيب عنها و تنميتها، فهمها وتحقيقتها بتقص دقيق عميق ثم عرضها مكتملا بذكاء وإدراك.¹⁴ وانطلاقا من الخلفية المذكورة، فإنّ القضية أو المسئلة الذي رام بها الباحث من هذا البحث هي :

1. ما معني الوسط من النظرية القرآنية؟
2. وكيف أراء المفسرين في تفسير قول الوسط من هذه الآية؟
3. هل القرآن - الذي فيه شرائع الله للوصول إلى سلامة الدنيا والأخرة - يعطي منهجا لهذه الأمة في الوقوف علي قيام للوسطية؟

ج. أهداف البحث

- إضافة إلى القضية الأساسية ، فكانت أهداف هذا البحث تتركز إلى :
1. الفهم على معني الحق لمفهوم (الوسطية) والأمة الوسط من نظرية القرآن.
 2. المعرفة في تحرير مفهوم الوسطية كما جاء عن السلف الصالح رضي الله عنهم.

¹⁴ عبد السلام، معالم الطريق الي البحث والتحقيق، (القاهرة، دار الكتاب الجامعي: بدون السنة). (42) :وانظر أيضا حلمي محمد فوزة و عبد الرحمن صالح، المرشد في كتابة الأبحاث، (بيروت، دار الفكر (1992) (11)).

3. المعرفة بأنّ القرآن أتي بالمنهج الوسطية لبيان عظمة هذا الدين، وشموله وكماله، وتوازنه وعدله وعلي الأمة لا بدّ أن يقف بها في الوقفات التربوية من ضوء القرآن الكريم، وأثر ذلك في توازن وضبط الأفكار والحركات والمواقف ودفعتها إلى فعل الخير المثمر في الدنيا والآخرة.

د. منافع البحث

و ليس من ريب، أنّ لكلّ بحث من البحوث العلمية لها يُرجي بالتالي تحقّقها من قريب أو بعيد من الزمان، وإنّ المنافع التي يُرجي حصولها من هذا البحث العلمي هي ما هو آت :

1. الترقية و التنمية للعلوم الإسلامية فضلا عن مفهوم معنى الوسطية.
2. التوجيه للوقوف في الوقفات التربوية القرآنية عن هذا المنهج الشريف.
3. القيام على الوسطية و يجعله منهج الحياة مستندا على أقوال السلف الصالح.

هـ. الدراسة السابقة

قد اطلع الباحث علي عدد من الكتب والدراسات والبحوث التي تناول عن هذا الموضوع وسوف تستعرض بعضا منها مما لها علاقة مباشرة بهذه الدراسة :

أولا : ما كتبه الأستاذ فريد عبد القادر رسالة لنيل الدرجة الماجستير بجامعة الإمام ملك بن سعود تحت الموضوع *الوسطية في الإسلام*، و قد تحلل كثيرا

في بحثه عن الوسطية الموردة في القرآن و كيف تصير الوسطية منهج الحياة الإسلامية الصالحة لأهلها.

ثانياً : قد وجد الباحث جرنالا أو مجلة إلكترونية في <http://www.al-islam.com/> تاريخ النشر 28-3-2009 عن بحوث ندوة أثر القرآن في تحقيق الوسطية و دفع الغلو، وقد احتوي علي الرسالات و البحوث العلمية من عدّة العلماء المراعين بحقيقة وسطية هذا الدين، و من بعض العنوان : مفهوم الوسطية والاعتدال للدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل، أدلة الوسطية في القرآن والسنة للدكتور محمد بن عمر بازمول، مظاهر الوسطية في الإسلام للدكتور سليمان بن إبراهيم العايد، معالجة القرآن لظواهر الانحراف والغلو للدكتور إبراهيم بن سعيد الدوسري و غير ذلك.

و. توضيح المصطلحات و تحديد الموضوع

من مقتضيات الدراسة المنهجية فهُم مداخل الموضوع ومصطلحاته التي تحمل كلّ واحدة منها دلالتها الخاصة التي تعطي للموضوع بعده المميز، و بالتالي تحدّد المفاهيم الأولية أو الكليّة التي يراد ببحثها.

والبحث هو : موقف المسلمين على معني الأمة الوسطية في القرآن.

ويتكون من المصطلحات الآتية :

موقف : في اللغة معناه محلّ الوقوف¹⁵ (*The fix Position*).

و وقف علي شيء معناه : فهمه وتبيّنه واطّلع عليه.

¹⁵ المنجد في اللغة والأعلام مادة (وقف) (912).

والمراد به هو بيان محلّ الشيء بعد فهمه و تبينه
 واطّلاع عليه فاختار بأحسنه. و أراد الباحث في
 مفهومه هنا، موقف هذه الأمة الإسلامية علي عبارة
 الوسط بعد معرفته و التبين فيه والاطلاع عليه حتّى
 فهم حقّ الفهم و سار سير الحياة بمنهج علي النظر
 القرآني.

الأمة : في اللغة كلّ جماعة يجمعهم أمر ما، و جمعها
 أمم¹⁶. و في السياسة كما عُرف في صحيفة مدينة
 " *The Contitution of Medinah* " عرضت علي
 معنيين : جماعة يجمعهم أمر العقيدة و جماعة يجمعهم
 أمر السياسة ومسألة الاجتماع¹⁷.
 الوسطية : في اللغة التوازن و التعادل. وهي مؤهل الأمة
 الإسلامية من: العدالة، والخيريّة للقيام بالشهادة علي
 العالمين، وإقامة الحجّة عليهم¹⁸ أو صفة لا بدّ أن
 يتصف بها المسلم إتماماً لكمال تديّنه.

و حدّد هذا البحث تفسير قوله تعالى في البقرة: 143 عن تعريف معني
 الوسطية من آراء المفسرين و العلماء القُدماء والمعاصر و كيف لا بدّ علي كلّ
 مسلم أن يقف علي معناها الحقّ ويسلك علي منهجها.

¹⁶ المنجد في الأعلام مادة : أم م (17)

¹⁷ http://id.wikipedia.org/wiki/Piagam_Madinah , *Encyclopedia of Islam Online*

¹⁸ سيد قطب، في ظلال القرآن الجزء 1 (131)

ز. منهج البحث.

إنّ الوصول الي الغاية المنشودة علي وجهها الأكمل من بحث ما، كان من أهمّ ما يتهم به كلّ باحث. و كان غير خاف، أنّ لكلّ باحث منهج¹⁹ يسلك به في بحثه. ولعلّ من المرغوب، عرض المنهج الذي يسلكه به هذا البحث العلمي، توضيحا للقارئ في معرفة منهج هذا البحث.

لقد سلك الباحث في إتمام هذا البحث بالمنهج المشروعة. والتكلم عن طريقة البحث يوجب معرفة أربعة عناصر الأساسية، وهي تصميم نوع البحث و مصادر البيانات و طريقة جمع المواد والبيانات وطريقة تحليلهما.

الأول : تصميم نوع البحث

بحسب موضوع هذا البحث، أنه دخل في نوع البحث المكتبي (*library research*)²⁰ و طريقة البحث التي سيستخدمها الباحث هي الطريقة الكيفية (*metode kualitatif*) وهي طريقة مستخدمة للوصول الي البيانات الوصفية التي تتكون من أقوال وكتابات و ملاحظات²¹. أما صفة هذا البحث هي البحث التحليلي.

الثاني : مصادر البيانات

¹⁹ وقد عرّف عبد السلام بأنّ المنهج هو الطريقة التي يترسم الباحث حطاها ليصل في نهاية المطاف الي حقيقة الموضوع الذي اتخذها موطنًا لبحثه. انظر عبد السلام : *معالم الطريق الي البحث والتحقيق*، (60).

²⁰ يجوز في استعمال الكلمات أو العبارة الأجنبية إذا كانت كلمات أو عبارات اصطلاحية (*technical term*) انظر أحمد شبلي، كيف تكتب بحثًا أو رسالة (مكتبة النهضة الإسلامية الطبعة السادسة - 1997) (72).

²¹ سوهرسيني أريكنتو، *Prosedur Penelitian : Suatu Pendekatan* (رينيكا جيتا الطبعة الثالثة عشرة- 2006) (11-17) وانظر أيضا : أنتون بكر، *Metodologi Penelitian Filsafat* (يوكيكرتا، كنييسوس 1996) (62) وانظر أيضا : شرقاوي ظافر، *Ringkasan Pengantar Sosiologi* (الطبعة الثالثة دون المدينة 2000)

وبما أنّ هذا البحث من نوع البحث المكتبي (*library research*)، فإنّ البيانات فيه محسولة من المصادر الأولية²²، وهي القرآن الكريم و كتب التفاسير سلفها وخلفها و من بعضها في ظلال القرآن لسيد قطب، المنار لرشيد رضا، أحكام القرآن للطبري و من غير كتاب التفسير ما كتبه يوسف القرضاوي تترجم الي اللغة الإندونيسية *Karakteristik Islam : Kajian Analitis* ترجمة رافع منور و تاج الدين و الكتاب الوسطية في ضوء القرآن لدكتور ناصر بن سليمان العمر طبعه دار الوطن بالرياض و كتاب "وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً" ألفه الشيخ عبدالعزيز بن ناصر الجليل (<http://www.almeshkat.net>).

الثالث : طريقة جمع المواد والبيانات

وهذا البحث مبني على بحث مكتبي (*library research*) في جميع المعلومات والبيانات، وسلك الباحث في جمعها بالقراءة والإستقراء والفحص والكشف عن المصادر المقروؤة المتعلقة بموضوع البحث. لذا استخدم الباحث اسلوب محافظة البيانات (*record*) لجمع البيانات وتحضيرها من كتب أو مجلات أو نشرات علمية أو الشبكة الانترنتية وغير ذلك لإستيفاء الحاجة الى البيانات الكافية المناسبة. ومن هنا، استعمل في جمع المواد طريقتان :

1. طريقة المباشرة : أخذ الباحث المواد من الكتب بنفس النصوص و العبارات التي وردت عليها دون تغيير ولا تحويل.

²² إنّ المصادر تنقسم من حيث أهميتها إلي قسمين : الأول : المصادر الأولية وهي المصادر التي يمكن اعتمادها كمصادر موثوق بها. والثاني : المصادر الثانوية وهي المصادر التي يمكن اعتمادها بعد تقييم معلوماتها. انظر المرشد في كتابة الأبحاث.(73). و من هذا التعريف يمكن القول بأنّ اعتبار المصادر أولية أو ثانوية علي حسب موضوع البحث. فقد تكون المصادر أولية في موضوع حين تكون هي نفسها ثانوية في موضوع آخر .

2. طريقة غير مباشرة : كتب الباحث آراء العلماء مع تصرفات
عبارتهم بزيادة أو نقصان.

الرابع : طريقة تحليل البيانات

في هذا السياق، استخدم الباحث لتحليل مجموعة البيانات المحفوظة طريقة
تحليل المضمون أو المحتوي (*content analysis*) وهي أسلوب مستخدم لإستنباط
نتيجة البحث بتحقيق خصائص المعلومات المسجلة والمواد المدروسة وكشف
حقائقها موضعيا ومنهجيا.

ح. خطة البحث

ولا تزال الحاجة قائمة الى ذكر شيء من خطة البحث التي سيسير عليها
هذا البحث لتتصور في ذهن القارئ عناصر البحث، وفي هذا الصدد تعريض تلك
الخطة بكمالها. قسم الباحث هذا البحث الجامعي الي خمسة أبواب تشرح فيه
عناصر البحث مفصلا بخطة منظمة فيما يلي :

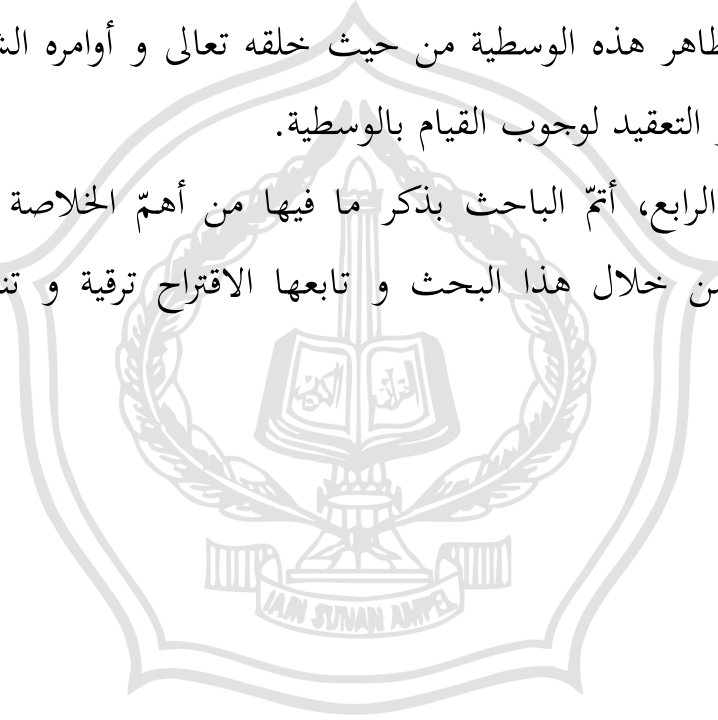
الباب الأول، هو عبارة عن مقدمة البحث، و يعتبر في هذا بالتعريف بهذا
البحث. وتحتوي على خلفية البحث ، قضية البحث ، أهداف البحث ، منافع
البحث ، الدراسة السابقة، توضيح المصطلحات و تحديد الموضوع، ومنهج البحث
يسلك الباحث لكتابة هذا البحث العلمي و يختم بخطة البحث .

الباب الثاني، عرض فيه الباحث مفهوم الوسطية و ينقسم الباحث هذا
الباب الي فصلين، إيضاحا له و اطلاقا عليه. و هذه الفصول تحتوي علي تعريف

الوسطية في اللغة و ياليه التحرير في معناها مع ذكر أسس فهم الوسطية و ملامح الوسطية عند العلماء.

الباب الثالث، قدّم الباحث العبارة عن الوسطية عند المفسرين و يدلّ ذلك بأنّها خاصية من خصائص هذا الدين القيم و هذا الباب يحتوي علي ثلاثة فصول، وهو يُبدأ بإيراد أقوال المفسّرين في سياق "أمة وسط" من قوله تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) (البقرة: من الآية143) و أراؤهم عنها في أسسها و ملامحها. وبعده ذكر مظاهر هذه الوسطية من حيث خلقه تعالى و أوامره الشرعية، والأخير من الفصل هو التعقيد لوجوب القيام بالوسطية.

الباب الرابع، أتمّ الباحث بذكر ما فيها من أهمّ الخلاصة و النتائج التي توصل اليها من خلال هذا البحث و تابعها الاقتراح ترقية و تنمية لهذا العلم الشريف .



الباب الثاني

مفهوم الوسطية

لتعمق فهم هذه العبارة ينقسم الباحث هذا الباب الي فصلين، إيضاها له و اطلاعا عليه. و هذان فصلاان يحتوي علي تعريف الوسطية في اللغة و ياليه التحرير في معناها بذكر أسس فهم الوسطية و ملامح الوسطية عند العلماء.

الفصل الأول : تعريف الوسطية

تدل الوسطية على معان متقاربة كما يقول ابن فارس²³: (الواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على: العدل، والنصف وأعدل الشيء أوسطه ووسطه...) ²⁴.

الأول: (وسط) بسكون السين، فتكون ظرفا بمعنى (بين) قال في لسان العرب²⁵: (وأما الوسط بسكون السين فهو ظرف لا اسم، جاء على وزن نظيره في المعني وهو (بين) نقول: جلست وسط القوم أي بينهم...).
ومنه قول سوار بن المضرب:

إني كأني أرى من لا حياء له # ولا أمانة، وسط الناس عريانا²⁶

²³ هو العلامة اللغوي المحدث أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني المعروف بالرازي المالكي ولد بقزوين وأقام بالري ودفن بها عام خمس وتسعين وثلاثة مائة: انظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء الجزء 17 تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية، 1402 / 1982. (103).

²⁴ ابن فارس أبي الحسين بن فارس معجم مقاييس اللغة الجزء 6 : كتاب الواو، باب (الواو والسين) تحقيق عبد السلام هارون، (إيران دار الكتب العلمية)دون السنة (108).

²⁵ صاحب لسان العرب: هو محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الإفريقي ثم المصري جمال الدين أبو الفضل كان ينسب إلى رويغ بن ثابت الأنصاري ولد سنة 630 هـ وتوفي 711 هـ. انظر ترجمته في مقدمة لسان العرب.

الثاني: (وسط) بفتح السين.

وتأتي لمعان متعددة متقاربة، فتكون:

1- اسما لما بين طرفي الشيء وهو منه فنقول: قبضت وسط الحبل، وكسرت
وسط القوس، وجلست وسط الدار²⁷.

2- تأتي صفة بمعنى (خيار) وأفضل، وأجود، فأوسط الشيء أفضله وخياره
كوسط المرعي خير من طرفيه، ومرعى وسط أي: خيار، منه:

إن لها فوارسا وفرطاً # ونضرة الحي ومرعى وسطاً²⁸

وواسطة القلادة: الجوهر الذي وسطها وهو أجودها²⁹، ورجل وسط
ووسيط: حسن³⁰.

3- وتأتي وسط: بمعنى (عدل) كما تقدم قول ابن فارس: إنه يدل على
العدل.. وأن أعدل الشيء أوسطه.

وفي لسان العرب: (ووسط الشيء وأوسطه أعدلته)³¹.

وفي القاموس³²: (الوسط: محرّكة من كل شيء أعدلته)³³، وكذلك قال
الجوهري³⁴ في الصحاح³⁵.

²⁶ ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، فصل الواو، باب وسط، (بيروت، دار صادر) دون السنة
(427/7).

²⁷ لسان العرب (427/7).

²⁸ نفس المصدر: (427/7، 430).

²⁹ انظر: الصحاح الجزء 3 (1167).

³⁰ انظر: لسان العرب، فصل الواو، باب (وسط): (430/7).

³¹ نفس المصدر السابق: (430/7).

³² صاحب القاموس هو الإمام الشهير أبو الطاهر محمد بن يعقوب بن إبراهيم أو ابن يعقوب بن إبراهيم الشيرازي يرجع

نسبه إلى أبي بكر الصديق وولد بفارس عام 729هـ، وتوفى باليمن عام 817هـ، انظر: مقدمة القاموس المحيط (مؤسسة الرسالة).

³³ القاموس المحيط باب الطاء، فصل الواو: (893).

4- وتأتي وسط: بمعنى: الشيء بين الجيد والرديء قال الجوهري: (ويقال أيضاً شيء وسط: أي بين الجيد والرديء)³⁶.

وكيفما تصرفت هذه اللفظة، تجدها لا تخرج في معناها عن معاني العدل والفضل والخيرية، والنصف والبينية والمتوسط بين الطرفين فتقول:

(وسوطا) بمعنى: المتوسط المعتدل ومنه قول الأعرابي: (علمني ديننا وسطا لا ذاهبا فروطا ولا ساقطا سقوطا، فإن الوسوط ههنا المتوسط بين الغالي والتالي)³⁷.

و(وسيطا): أي حسيبا شريفا، قال الجوهري: وفلان وسيط في قومه إذا كان أوسطهم نسبا وأرفعهم محلا قال العرجي:

كأني لم أكن فيهم وسيطا # ولم تك نسبتني في آل عمرو³⁸

و(الوسيط) أي المتوسط بين المتخاصمين³⁹.

و(التوسط): بين الناس من الوساطة⁴⁰.

و(التوسيط): أي تجعل الشيء في الوسط⁴¹.

و(التوسيط) قطع الشيء نصفين.

و(وسوط الشمس): توسطها السماء⁴².

³⁴ هو إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي إمام العربية كان من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلم له مصنفات أشهرها كتاب الصحاح في اللغة واعتزته في آخر حياته وسوسة فصعد إلى سطح جامع نيسابور وعمل لنفسه جناحين وحاول الطيران فسقط ميتا، وقد كانت وفاته سنة (98هـ). انظر: ياقوت، معجم الأديباء، الجزء 6 (151).

³⁵ انظر الصحاح الجزء 3 (1167).

³⁶ نفس المصدر: الجزء 3 (1167).

³⁷ انظر: لسان العرب: فصل الواو، باب (وسط) الجزء 7 (430).

³⁸ انظر الصحاح الجزء 3 (1167).

³⁹ القاموس المحيط باب الطاء، فصل الواو: (894).

⁴⁰ انظر الصحاح الجزء 3 (1167).

⁴¹ انظر الصحاح الجزء 3 (1167).

⁴² لسان العرب الجزء 7 فصل الواو، باب وسط: (429).

و(واسطة القلادة): الجوهري الذي هو في وسطها وهو أجودها⁴³.
 وقال فريد عبد القادر⁴⁴: استقر عند العرب أنهم إذا أطلقوا كلمة (وسط) أرادوا معاني الخير، والعدل، والجودة، والرفع، والمكانة العلية.
 والعرب تصف فاضل النسب بأنه وسط في قومه، وفلان من واسطة قومه، أي: من أعيانهم، وهو من أوسط قومه، أي: من خيارهم وأشرفهم⁴⁵.
 وأمّا إطلاق الوسط على الصّفة الواقعة عدلا بين خلقين ذميمين فيهما إفراط وتفريط، كالشّجاعة بين الجبن والتهوّر، والكرم بين الشُّحّ والسرف، والعدالة بين الرّحمة والقساوة، فذلك روى حديث: (خير الأمور أوسطها) وسنده ضعيف⁴⁶.

ومن خلال ما سبق اتضح لنا المعنى اللغوي لكلمة (وسط) وما تصرف منها، وأنها تؤول إلى معانٍ متقاربة.

الفصل الثاني : تحرير معنى الوسطية

من خلال ما سبق اتضح لنا أن كلمة (وسط) تستعمل في عدّة معانٍ، أهمها:
 1. بمعنى الخيار والأفضل والعدل.

⁴³ انظر الصحاح الجزء 3 (1167).

⁴⁴ طالب علم في جامعة الإمام محمد بن سعود تقدم ببحث في الوسطية في الإسلام ونال به درجة الماجستير.

⁴⁵ الوسطية في الإسلام (10).

⁴⁶ قال العجلوني في كشف الخفاء الجزء 2 (391): حديث: "خير الأمور أوسطها" وفي لفظ: "أوسطها". قال ابن الغرس: ضعيف. وقال في المقاصد: رواه ابن السمعاني في ذيل تاريخ بغداد، لكن بسند فيه مجهول عن علي مرفوعاً. وللدلمي بلا سند عن ابن عباس مرفوعاً: "خير الأعمال أوسطها". وللعسكري عن الأوزاعي أنه قال: ما من أمر أمر الله به إلا عارض الشيطان فيه بخصلتين لا يبالي أيهما أصاب: الغلو أو التقصير. ولأبي يعلى بسند جيد عن وهب بن منبه، قال: إن لكل شيء طرفين ووسطاً، فإذا أمسك بأحد الطرفين مال الآخر، وإذا أمسك بالوسط اعتدل الطرفان، فعليكم بالأوساط من الأشياء.

2. قد ترد لما بين شيئين فاضلين.
 3. وتستعمل لما كان بين شيئين وهو خير.
 4. وتستعمل لما كان بين الجيد والرديء، والخير والشر.
 5. وقد تطلق على ما كان بين شيئين حسا، كوسط الطريق، ووسط العصا، وقد تأتي لمعان أخرى قريبة من هذه المعاني والمهم -هنا- متى يطلق لفظ (الوسطية) بل على ماذا يطلق هذا المصطلح؟ فهناك من جعل مصطلح الوسطية مرادفا للفظ الخيرية، ولو لم يكن بين شيئين حسا أو معنى.
- قال فريد عبد القادر: ((ومن جملة ما سبق بيانه نستطيع أن نستخلص تعريفا خاصا محددًا للوسطية، فنقول: بأن الوسطية هي: مؤهل الأمة الإسلامية من العدالة، والخيرية للقيام بالشهادة على العالمين، وإقامة الحجّة عليهم ثم قال: أما ما شاع عند الناس وانتشر من الوقوف عند أصل دلالتها اللغوية، أي التوسط بين طرفين، فليس بمفهوم صحيح وفق ما تبينه الآيات والأحاديث))⁴⁷.
- ويؤكد هذا المعنى في محل آخر فيقول: ولا يلزم لكل ما يعتبر وسطا في الاصطلاح أن يكون له طرفان، فالعدل وسط ولا يقابله إلا الظلم، والصدق وسط ولا يقابله إلا الكذب⁴⁸.
- وهناك من جعل (الوسطية) من التوسط بين الشيئين دون النظر إلى معنى الخيرية التي دل عليها الشرع.

⁴⁷ محمد عبد اللطيف الفرغور، الوسطية في الإسلام الطبعة الأولى (بيروت، دار النفائس 1993) (29).

⁴⁸ نفس المرجع (33).

قال الأستاذ فريد عبد القادر: ((وقد شاع كذلك عند كثير من الناس استعمال هذا الاصطلاح الرباني، استعمالاً فضفاضاً يلبس أي وضع أو عرف أو مسلك أرادوه، حتى أصبحت الوسطية في مفهومهم تعني التساهل والتنازل)).
وما ذكره الأستاذ فريد في تعريفه للوسطية، وكذلك ما نُقل عن غيره ففيه نظر، وأراد به الباحث أن مصطلح الوسطية لا يصح إطلاقه إلا إذا توفرت فيه صفتان:

1- الخيرية: أو ما يدل عليها كالأفضل والأعدل أو العدل.

2- البينية: سواء أكانت حسية أو معنوية.

فإذا جاء أحد الوصفين دون الآخر فلا يكون داخلاً في مصطلح الوسطية، والقول بأن الوسطية ملازمة للخيرية - أي أن كل أمر يوصف بالخيرية فهو (وسط)، فلا وسطية بدون خيرية، ولا عكس فلا بد مع الخيرية من البينية حتى تكون وسطاً. وكذلك البينية - أيضاً - فليس كل شئيين أو أشياء يعتبر وسيطاً وإن كان وسطاً، فقد يكون التوسط حسياً أو معنوياً، ولا يلزم بالوسطية كوسط الزمان أو المكان أو الهيئية ونحو ذلك؛ ولكن كل أمر يوصف بالوسطية فلا بد أن يكون بينياً حسياً أو معنوياً.

ومن هنا اتضح على أن أي أمر اتصف بالخيرية والبينية جميعاً فهو الذي يصح أن يطلق عليه وصف: الوسطية، وما عدا ذلك فلا، وإلى هذا الرأي ذهب الدكتور ناصر بن سليمان العمر في كتابه الوسطية في ضوء القرآن⁴⁹.

⁴⁹ د. ناصر بن سليمان العمر الوسطية في ضوء القرآن (الرياض، دار الوطن 1993) (41-42).

و من اسس فهم الوسطية هي : لا يطرد عن شرطي الخيرية والبينية وهي الغلو أو الإفراط و الجفاء أو التفريط و الوقوف علي صراط المستقيم و المقياس لتحديده هو الشرع⁵⁰. و من أتى بانحراف مفهومه و خرج من هذين شرطين و لا يستقيم في سبيل الحق بل استند علي منهج البشرية فقد اختلف : (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)⁵¹.

أسس الوسطية

بعد أن تبين لنا أنّ الوسطية لا بدّ لها من توافر أمرين، وهما: الخيرية والبينية، فهناك أسس لا بدّ من بيانها، ليتحدّد معنى الوسطية على الوجه الدقيق. وتلك الأسس مطّردة مع شرطي الخيرية والبينية، وهذه الأسس هي⁵²:

- الغلوّ أو الإفراط.
- الجفاء أو التفريط.
- الصّراط المستقيم.

فالصّراط المستقيم يمثّل الخيرية ويحقّق معناها، وهو وسط بين الغلوّ والجفاء، أو الإفراط والتّفريط، وهذا يُحقّق وصف البيئية وشرطها الذي ذكرت أنّه من لوازم الوسطية.

⁵⁰ الشيخ عبد العزيز بن ناصر الجليل، كتاب وكذلك جعلناكم أمة وسطا علي شكل ف. د. ف.

(23) <http://www.almeshkat.net/>

⁵¹ النساء : 82

⁵² الشيخ عبد العزيز بن ناصر الجليل، كتاب وكذلك جعلناكم أمة وسطا... (23)

ويحسن بالباحث في هذا المقام أن يعرض مفهوم الغلو والإفراط، ومفهوم الجفاء والتفريط بعد أن اتضح للباحث معنى الوسط و ذكر مرادف سمات هذه الوسطية.

أ. الغلو أو الإفراط

قال الجوهري: ((وغلا في الأمر يغلو غلوًا أي: جاوز فيه الحد)).⁵³

وقال في اللسان: ((وغلا في الدين والأمر يغلو غلوًا: جاوز حده، وقال في التنزيل (لا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ)⁵⁴. وقال بعضهم: غلوت في الأمر غلوًا وغلانية وغلانيًا إذا جاوزت فيه الحد وأفرطت فيه، ويقال للشيء إذا ارتفع: قد غلا، وغلا النبات: ارتفع وعظم)).⁵⁵

ومن الألفاظ المرادفة لمعنى الغلو: الإفراط. وهو يشترك مع الغلو في كونه مجاوزة للحد، وان كان كل واحد منهما يحمل معنى أبلغ من الثاني في بعض ما يستعمل فيه؛ فالذي يشدد على نفسه بتحريم بعض الطيبات أو بحرمان نفسه منها يكون وصف الغلو ألصق به، والذي يعاقب من اعتدى عليه عقوبة يتعدى بها حدود مثل تلك العقوبة يكون وصف الإفراط ألصق به من الغلو. والمقصود منه أن كلاً من الغلو والإفراط خروج عن الوسطية.

ب. الجفاء أو التفريط

⁵³ الصحاح في اللغة : (2448/6).

⁵⁴ النساء : من الآية 171

⁵⁵ لسان العرب: مادة (غلا). و المنجد في اللغة و الأعلام : زاد وارتفعة.

بعد تعريف معنى الغلو والإفراط، وأنه بجانب للوسطية، وقف الباحث في هذه الفقرة للتعريف على الطرف الآخر المقابل له، ألا وهو التفريط والإضاعة والذي هو الآخر بجانب للوسطية والعدل والميزان المستقيم. فما معنى التفريط؟⁵⁶

قال في اللسان: ((التفريط: هو التضييع. (وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا)⁵⁷ أي: كان أمره التفريط وهو تقديم العجز، وفرط في الأمر يفرط فرطاً. أي: قصر فيه وضيعه حتى فات، وكذلك التفريط))⁵⁸ ..

وقال الجوهري: ((فَرَطَ فِي الْأَمْرِ فُرْطًا: أي قصر فيه وضيعه حتى فات، وكذلك التفريط))⁵⁹.

وبالتعرف على معنى التفريط كان الباحث قد أحاط علمًا بالطرفين المذمومين المخالفين للوسطية والعدل، وهما: طرف الغلو أو الإفراط، وطرف التفريط أو التقصير، وأن الميزان العدل وسط بينهما في كل الأمور.

وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - مبيّنًا منهج السلف القائم على العدل والوسط:

"والسلف يذكرون هذين الأصلين كثيراً - وهما الاقتصاد في الأعمال والاعتصام بالسنة - فإن الشيطان يَشُمُّ قلب العبد ويختبره، فإن رأى فيه داعية للبدعة، وإعراضاً عن كمال الانقياد للسنة أخرجته عن الاعتصام به؛ وإن رأى فيه حرصاً على السنة، وشدة طلب لها لم يظفر به من باب اقتطاعه عنها؛ فأمره بالاجتهاد والجور على النفس، ومجاورة حد الاقتصاد فيها، قائلاً له: إن هذا خير وطاعة، والزيادة والاجتهاد

⁵⁶ الجواز علي استعمال طريقة المحاضرات أو المحدثات العلمية الشفوية في الحضرة عن أقال الغير، انظر: كيفية كتابة

البحث للبرنامج التخصصي، جامعة سونان أمبيل سورابايا 2008

⁵⁷ الكهف: من الآية 28

⁵⁸ لسان العرب مادة فرط. وفي المنجد أيضا

⁵⁹ الصحاح في اللغة: (1148/3).

فيها أكمل؛ فلا تفتت مع أهل الفتور، ولا تنم مع أهل النوم، فلا يزال يحثه ويحرضه حتى يخرج عن الاقتصاد فيها؛ فيخرج عن حدها، كما أن الأول خارج عن هذا الحد، فكذا هذا الآخر خارج عن الحد الآخر. وهذا حال الخوارج الذين يَحْتَرُّ أهل الاستقامة صلاتهم مع صلاتهم، وصيامهم مع صيامهم، وقراءتهم مع قراءتهم، وكلا الأمرين خروج عن السُّنة إلى البدعة؛ لكن هذا إلى بدعة التفريط، والإضاعة، والآخر إلى بدعة المجاوزة والإسراف. وقال بعض السلف: ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان. إما إلى تفريط، وإما إلى مجاوزة، وهي الإفراط. ولا يبالي بأيهما ظفر زيادة أو نقصان⁶⁰.

ملامح الوسطية

وللوسطية ملامح وسمات تحفّ بها، وتُميّزها عن غيرها، بمجموع تلك الملامح لا بأحاديها. وإنّ تحديد هذه الملامح مهمّة أساسية في البحث، حتى لا تكون الوسطية مجالاً لأصحاب الأهواء وأرباب الشّهوات. ذلك أنّ الوسطية مرتبة عزيزة المنال، غالية الثمن، كيف لا وهي سمة هذه الأمة، ومحور تميّزها بين الأمم. جعلها الله خاصية من خصائصها، تکرّمًا منه وفضلاً (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)⁶¹.

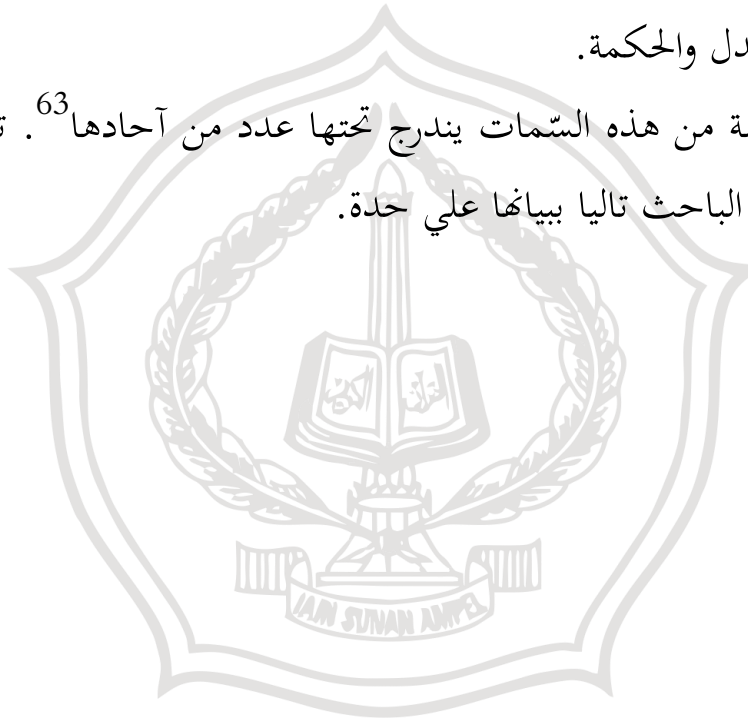
⁶⁰ ابن القيم، مدارج السالكين الجزء 2 (342)، ط. دار طيبة. ويقول - رحمه الله تعالى - في موطن آخر: ((وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان فإما إلى غلو ومجاوزة وإما إلى تفريط وتقصير، وهما آفتان لا يخلص منهما في الاعتقاد والقصد والعمل إلا من مشى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك أقوال الناس وآراءهم لما جاء به، لا من ترك ما جاء به لأقوالهم وآرائهم، وهذان المرضان الخطران قد استوليا على أكثر بني آدم، ولهذا حذر السلف منهما أشد التحذير وخوفوا من ابتلي بأحدهما بالهلاك. وقد يجتمعان في الشخص الواحد كما هو حال أكثر الخلق؛ يكون مقصرًا مفرطًا في بعض دينه، غالبًا متجاوزًا في بعضه، والمهدي من هداه الله)) الروح لابن القيم (545)، دار إحياء العلوم.

⁶¹ الحديد : من الآية 21

وكما يري الدكتور ناصر بن سليمان العمر في كتابه الوسطية في ضوء القرآن
فإنَّ من أهمِّ سمات الوسطية ما يلي⁶²:

- الخيرية.
- الاستقامة.
- اليسر ورفع الحرج.
- البينة.
- العدل والحكمة.

وكل سمة من هذه السمات يندرج تحتها عدد من آحادها⁶³. توضيحا لهذه
الملامح سيأتي الباحث تالياً بيانها علي حدة.



⁶² د. ناصر بن سليمان العمر الوسطية في ضوء القرآن (الرياض، دار الوطن 1993)(62).

⁶³ القرضاوي، ...Karakteristik Islam... (143-145).

الباب الثالث

الوسطية عند المفسرين

الفصل الأول : الوسطية خاصية الدين

عرض الباحث أقوال المفسرين في تفسير هذه الآية، وذلك لينطلق منه المعنى الصحيح في ذكر الأمثلة والمظاهر المتنوعة لهذه السمة المميزة للإسلام وأهله. وقد ورد تفسير (الأمة الوسط)، كما ذكر لها المفسرون عدّة معانٍ، وتفصيل ذلك كما يلي:

أ. جامع البيان عن تأويل آية القرآن، لابن جرير الطبري
قال الطبري في "الوسط": فإنه في كلام العرب: الخيار، يُقال منه: فلان وسط الحسب في قومه، أي متوسط الحسب، إذا أرادوا بذلك الرّفْع في حسبه. وهو وسط في قومه وواسط.
إنّ الوسط في آية الله : البقرة 143. إنّما وصفهم الله بأنّهم وسط لتوسّطهم في الدّين، فلا هم أهل غلوّ فيه، غلوّ النّصارى الذين غلّوا بالترّهّب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدّلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربّهم، وكفروا به، ولكنهم أهل توسّط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبّ الأمور إلى الله أوسطها. وأمّا التأويل فإنّه جاء بأنّ الوسط العدل وذلك معنى الخيار، لأنّ الخيار من الناس عدولهم⁶⁴.

ب. تفسير القرآن العظيم لابن كثير

⁶⁴تفسير الطبري الجزء 2 (6).

إنه يري أنّ الوسط هنا: الخيار والأجود، كما يُقال في قريش: أوسط العرب نسبًا ودارًا، أي: خيرها. وفسّر قول الوسط بقول رسول الله رواه الإمام أحمد في مسنده⁶⁵ : عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يدعى نوح يوم القيامة فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه فيقال لهم: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، وما أتانا من أحد فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأُمَّته، قال: فذلك قوله: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا). قال الوسط: العدل، فتدعون فتشهدون له بالبلاغ، ثم أشهد عليكم)) وقد رواه البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه⁶⁶.

ج. المنار لمحمد رشيد رضا

قال صاحب المنار: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا). ((وهو تصريح بما فهم من قوله: (وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)⁶⁷. أي على هذا النحو من الهداية جعلناكم أمة وسطًا.

إن الوسط هو العدل والخيار؛ وذلك أن الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط، والنقص عنه تقصير وتفريط، وكلُّ من الإفراط والتفريط ميلٌ عن الجادة القويمة، فهو شرٌّ ومذموم، فالخيار هو الوسط بين طرفي الأمر، أي المتوسط بينهما⁶⁸.

د. في ظلال القرآن لسيد قطب

⁶⁵ المسند: (32/3).

⁶⁶ ابن ماجه برقم (4284).

⁶⁷ البقرة: من الآية 213

⁶⁸ رشيد رضا، تفسير المنار الجزء 2 (4).

وقال سيد قطب - رحمه الله تعالى - في تفسير هذه الآية: ((إنها الأمة الوسط التي تشهد على الناس جميعًا، فتقيم بينهم العدل والقسط، وتضع لهم الموازين والقيم، وتبدي فيهم رأيها فيكون هو الرأي المعتمد؛ وتزن قيمهم وتصوراتهم وتقاليدهم وشعاراتهم فتفصل في أمرها، وتقول: هذا حق منها وهذا باطل. لا التي تتلقى من الناس تصوراتها وقيمها وموازينها. وهي شهيدة على الناس، وفي مقام الحكم العدل بينهم وبينما هي تشهد على الناس هكذا، فإن الرسول هو الذي يشهد عليها؛ فيقرر لها موازينها وقيمها؛ ويحكم على أعمالها وتقاليدها؛ ويزين ما يصدر عنها، ويقول فيه الكلمة الأخيرة. وبهذا تتحدد حقيقة هذه الأمة ووظيفتها لتعرفها، ولتشعر بضخامتها، ولتقدر دورها حق قدره، وتستعد له استعدادًا لائقًا.

وإنها للأمة الوسط بكل معاني الوسط سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد، أو من الوسط بمعناه المادي الحسي. فاستمرّ بيانه كما يلي:

(أمة وسطًا) في التصور والاعتقاد لا تغلو في التجرد الروحي ولا في الارتكاس المادي. إنما تتبع الفطرة الممثلة في روح متلبس بجسد، أو جسد تتلبس به روح. وتعطي لهذا الكيان المزدوج الطاقات حقه المتكامل من كل زاد، وتعمل لترقية الحياة ورفعها في الوقت الذي تعمل فيه على حفظ الحياة وامتدادها، وتطلق كل نشاط في عالم الأشواق وعالم النوازع، بلا تفریط ولا إفراط، في قصد وتناسق واعتدال.

(أمة وسطًا) في التفكير والشعور؛ لا تجمد على ما علمت وتغلق منافذ التجربة والمعرفة. ولا تتبع كذلك كل ناعق، وتقلد تقليد القردة المضحك،

إنما تستمسك بما لديها من تصورات ومناهج وأصول؛ ثم تنظر في كل نتاج للفكر والتجريب؛ وشعارها الدائم: الحقيقة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها، وفي تثبت ويقين.

(أمة وسطاً) في التنظيم والتنسيق؛ لا تدع الحياة كلها للمشاعر، والضمائر، ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب. إنما ترفع ضمائر البشر بالتوجيه والتهذيب، وتكفل نظام المجتمع بالتشريع والتأديب؛ وتزواج بين هذه وتلك، فلا تكل الناس إلى سوط السلطان، ولا تكلمهم كذلك إلى وحي الوجدان، ولكن مزاج من هذا وذاك.

(أمة وسطاً) في الارتباطات والعلاقات؛ لا تلغى شخصية الفرد ومقوماته، ولا تلاشي شخصيته في شخصية الجماعة أو الدولة؛ ولا تطلقه كذلك فرداً أثراً جشعاً لا هم له إلا ذاته، إنما تطلق من الدوافع والطاقات ما يؤدي إلى الحركة والنماء؛ وتطلق من النوازع والخصائص ما يحقق شخصية الفرد وكيانه. ثم تضع من الكوابح ما يقف دون الغلو، ومن المنشطات ما يثير رغبة الفرد في خدمة الجماعة؛ وتقرر من التكاليف والواجبات ما يجعل الفرد خادماً للجماعة، والجماعة كافلة للفرد في تناسق واتساق.

(أمة وسطاً) في المكان؛ في سرّة الأرض، وفي أوسط بقاعها. وما تزال هذه الأمة التي غمر أرضها الإسلام إلى هذه اللحظة هي الأمة التي تتوسط أقطار الأرض بين شرق وغرب، وجنوب وشمال، وما تزال بموقعها هذا تشهد الناس جميعاً، وتشهد على الناس جميعاً؛ وتعطي ما عندها لأهل

الأرض قاطبة؛ وعن طريقها تعبر ثمار الطبيعة وثمار الروح والفكر من هنا إلى هناك؛ وتتحكم في هذه الحركة ماديها ومعنويها على السواء)).⁶⁹

و قد وردت أحاديث كثيرة في الأمر بالتوسط والنهي عن الغلو والتشديد في الدين، وذكر بعضها هنا يساعد في فهم معنى الغلو وحدوده.

الحديث الأول : عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال لي رسول

الله صلى الله عليه وسلم، غداة جمع: (هلمّ القط لي الحصى)، فلقطت له حصيات من حصى الخذف، فلمّا وضعهنّ في يده قال: (نعم بأمثال هؤلاء وإيّاكم والغلوّ في الدين فإنّما أهلك من كان قبلكم الغلوّ في الدين)⁷⁰.

الحديث الثاني : عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: (هلك المتنتطعون). قالها ثلاثاً⁷¹. قال النّووي: (هلك المتنتطعون: أي المتعمّقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم)⁷².

الحديث الثالث : عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنّ رسول الله صلى

الله عليه وسلم، كان يقول: "لا تشدّدوا على أنفسكم فيشدّد الله عليكم؛ فإنّ قومًا شدّدوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصّوامع والديار (ورهبانيّةً ابتدعوها ما

⁶⁹ في ظلال القرآن الجزء 1 (131-133).

⁷⁰ النسائي: (268/5) برقم (3057)، وابن ماجه: (3029)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: (1283).

⁷¹ مسلم: (2670).

⁷² شرح مسلم للنووي: (220/16).

كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ) (الحديد: من الآية 27)⁷³. قال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - في تعليقه على هذا الحديث: (فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التشديد في الدين؛ وذلك بالزيادة على المشروع، وأخبر أن تشديد العبد على نفسه هو السبب لتشديد الله عليه؛ إما بالقَدَر وإما بالشرع؛ فالتشديد بالشرع: كما يشدد على نفسه بالندر الثقيل فيلزمه الوفاء به. وبالقدر: كفعل أهل الوسواس؛ فإنهم شددوا على أنفسهم فشدد عليهم القدر حتى استحکم ذلك وصار صفة لازمة لهم)⁷⁴.

الحديث الرابع

: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة)⁷⁵. قال ابن رجب - رحمه الله تعالى -: (والتسديد: العمل بالسداد؛ وهو القصد والتوسط في العبادة؛ فلا يقصر فيما أمر به ولا يتحمل ما لا يطيقه).

الحديث الخامس

: عن عبدالرحمن بن شبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اقرأوا القرآن ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به، ولا تجفوا عنه ولا تغلوا فيه)⁷⁶.

⁷³ أبو داود: (4904)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود: (1049).

⁷⁴ عن كتاب إغاثة اللهفان: (132/1).

⁷⁵ البخاري: (39).

⁷⁶ أحمد: (428/3)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (1168).

الحديث السادس : عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن نفرًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر، فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش. فحمد الله وأثنى عليه وقال: (ما بال أقوام قالوا كذا وكذا؛ لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني)⁷⁷.

ومن هذه الأقوال يُرى أنّ تفسير الوسط متقاربة المعني وهي لا يطرد عن شرطي الخيرية والبينية وهي الغلو أو الإفراط و الجفاء أو التفريط و الوقوف علي صراط المستقيم و هذه كلّها أسس الوسطية، و من بيان المفسرين يتضح للباحث عن وجود التوازن والعدل في كلّ ما شرع الله لنا - وسيأتي البيان في الفصل التالي - . ولتعمقه سيذكر الباحث بيانه اعتمادا على آراءهم والأخرين من المفسرين والعلماء فيصير مقارنا أو مقويًا له.

الغلو :

وقد جاء في القرآن الكريم النهي عن الغلو في الدين في أكثر من موضع؛

ومن ذلك:

- قوله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا

الْحَقَّ)⁷⁸.

⁷⁷ مسلم: (1401).

⁷⁸ النساء : 171

قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - في تفسير هذه الآية: ((... والغلو: الإفراط ومجاوزة الحد، ومنه: غلا السعر. وقال الزجاج: الغلو: مجاوزة القدر في الظلم ... وغلو النصارى في عيسى قول بعضهم: هو الله، وقول بعضهم: هو ابن الله، وقول بعضهم: هو ثالث ثلاثة)).⁷⁹

- وقوله تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ)⁸⁰.

قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - ((لا تُفْرِطُوا فِي الْقَوْلِ فِيمَا تَدِينُونَ بِهِ مِنْ أَمْرِ الْمَسِيحِ فَتَجَاوَزُوا فِيهِ الْحَقَّ إِلَى الْبَاطِلِ. فَتَقُولُوا فِيهِ: هُوَ اللَّهُ أَوْ هُوَ ابْنُهُ، وَلَكِنْ قُولُوا: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحَ مِنْهُ)).⁸¹

وقال الإمام ابن كثير - رحمه الله تعالى - في آية المائدة: ((أي: لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق ولا تُطْرُوا مِنْ أُمْرَتِهِ بِتَعْظِيمِهِ فَتَبَالِغُوا فِيهِ حَتَّى تَخْرُجُوهُ مِنْ حَيْزِ النَّبُوَّةِ إِلَى مَقَامِ الْإِلَهِيَّةِ كَمَا صَنَعْتُمْ فِي الْمَسِيحِ، وَهُوَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَجَعَلْتُمُوهُ إلهًا مِنْ دُونِ اللَّهِ)).⁸²

وقد وردت أيضا بعض الأحاديث التي تنهى عن الغلو، وذكره واحدا يساعد على فهمه:

⁷⁹ انظر: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير الجزء 2 (المكتب الإسلامي) (260).

⁸⁰ المائدة: 77

⁸¹ ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن الجزء 6 (بيروت، دار الفكر 1405) (316).

⁸² ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم المشهور بتفسير ابن كثير، الجزء 2 تحقيق: عبد العزيز غنيم، وحمد أحمد عاشور، ومحمد إبراهيم البناء (مطبعة الشعب القاهرة) (82).

وعن أبي هريرة عن النبي، قال: إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا وَأَبْشُرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ ⁸³. وفي لفظ: القصد القصد تبلغوا ⁸⁴.

كما جاء النهي عن الزيادة والتكلف في قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ). ⁸⁵

قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: ((أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: ما أسألكم على هذا البلاغ وهذا النصح أجراً تعطونيهِ من عَرَضِ الحياة الدنيا (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) أي: وما أزيد على ما أرسلني الله به ولا أبتغي زيادة عليه، بل ما أُمِرْتُ به أديته لا أزيد عليه ولا أنقص منه، وإنما أبتغي بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة)). ⁸⁶

ومن الألفاظ المرادفة لمعنى الغلو: الإفراط. وهو يشترك مع الغلو في كونه مجاوزة للحد، وان كان كل واحد منهما يحمل معنى أبلغ من الثاني في بعض ما يستعمل فيه؛ فالذي يشدد على نفسه بتحريم بعض الطيبات أو بحرمان نفسه منها يكون وصف الغلو ألصق به، والذي يعاقب من اعتدى عليه عقوبة يتعدى بها حدود مثل تلك العقوبة يكون وصف الإفراط ألصق به من الغلو. والمقصود منه أن كلاً من الغلو والإفراط خروج عن الوسطية.

التفريط :

⁸³ أخرجه البخاري (15/1). والنسائي (122/8) رقم (5034).

⁸⁴ أخرجه البخاري (181/7، 182)، وأحمد (514/2).

⁸⁵ تفسير ابن كثير الجزء 2 (86)

⁸⁶ المرجع السابق عند الآية (86) من سورة: ص.

وبعد تعريف معنى الغلو والإفراط، وأنه بجانب للوسطية، وقف الباحث في هذه الفقرة للتعريف على الطرف الآخر المقابل له، وهو التفريط والإضاعة والذي هو الآخر بجانب للوسطية والعدل والميزان المستقيم. وقد وردت مادة (فرط) في القرآن في عدّة مواضع⁸⁷:

قال تعالى: (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا)⁸⁸.

قال الطبري: يقول: يا ندامتنا على ما ضيّعنا فيها. قال السدي: أما (يا حَسْرَتْنَا). فندامتنا على ما فَرَطْنَا فيها، فضيّعنا من عمل الجنة.

وقال القرطبي: وفَرَطْنَا معناه ضيّعنا، وأصله التقدّم؛ يقال: فرط فلان أي تقدم وسبق إلى الماء، ومنه: (أنا فرطكم على الحوض)⁸⁹... ومنه في الدعاء للصبي: اللهم اجعله فَرَطًا لأبويه؛ فقولهم: (فَرَطْنَا). أي: قدّمنا العجز. وقيل: ((فَرَطْنَا)) أي: جعلنا غيرنا الفارط السّابق لنا إلى طاعة الله وتخلّفنا⁹⁰.

وقال تعالى في سورة الأنعام - أيضًا - : (مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ)⁹¹.

قال الطبري: معناه: ما ضيّعنا إثبات شيء منه.

⁸⁷ فتح الرحمن : مادة فرط.

⁸⁸ الأنعام : 31

⁸⁹ أخرجه البخاري في الرقاق: (6575)، ومسلم في الفضائل: (2297).

⁹⁰ انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الجزء 6، الطبعة الثالثة (القاهرة، دار الكتب العربي) (413).

⁹¹ الأنعام : 38

وقال ابن عباس: ما تركنا شيئاً إلا قد كتبناه في أم الكتاب.

وقال ابن زيد: (مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ). قال: لم نغفل، ما من شيء إلا وهو في الكتاب⁹².

وقال تعالى: (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ)⁹³.

قال الطبري: قد بيّنا أنّ معنى التّفريط: التّضييع فيما مضى قبل، وكذلك تأوله المتأولون في هذا الموضع.

قال ابن عباس: ((لا يُفَرِّطُونَ)). لا يضيّعون.

وكذلك قال السدي: ((لا يفرطون)). لا يضيّعون⁹⁴.

وفي سورة يوسف: (وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ)⁹⁵.

قال الطبري: ومن قبل فعلتكم هذه تفریطكم في يوسف، يقول: أولم تعلموا من قبل هذا تفریطكم في يوسف⁹⁶.

الصراط المستقيم وصلته بالوسطية :

وقد ورد لفظ الصراط المستقيم، في القرآن الكريم عشرات المرات، وجاء أيضاً بلفظ (صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا)⁹⁷، و(صِرَاطُكَ الْمُسْتَقِيمَ)⁹⁸، (صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا)⁹⁹ ونحو ذلك.

⁹² انظر تفسير الطبري الجزء 7 (188).

⁹³ الأنعام : 61

⁹⁴ تفسير الطبري الجزء 7 (218).

⁹⁵ يوسف : 80

⁹⁶ تفسير الطبري الجزء 13 (35).

⁹⁷ الفتح : 2

⁹⁸ الأعراف : 16

ففي سورة الفاتحة نجد قوله تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)¹⁰⁰. ثم يفسره بأنه (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)¹⁰¹. وفي البقرة جاء قوله تعالى: (يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)¹⁰² وجاء بعد هذه الآية مباشرة (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)¹⁰³، وسيأتي بيان العلاقة بين هاتين الآيتين، وعيسى -عليه السلام-، في سورة آل عمران يقول لقومه: (إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ)¹⁰⁴.

ونجد أن سورة الأنعام من أكثر السور التي ورد فيها الحديث عن الصراط المستقيم (مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)¹⁰⁵، (وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)¹⁰⁶، (وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا)¹⁰⁷، (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ)¹⁰⁸، (قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)¹⁰⁹.

⁹⁹ الأنعام : 153

¹⁰⁰ الفاتحة : 6

¹⁰¹ الفاتحة : 7

¹⁰² البقرة : 142

¹⁰³ البقرة : 143

¹⁰⁴ آل عمران : 51

¹⁰⁵ الأنعام : 39

¹⁰⁶ الأنعام : 87

¹⁰⁷ الأنعام : 126

¹⁰⁸ الأنعام : 153

¹⁰⁹ الأنعام : 161

وفي سورة إبراهيم سماه صراط العزيز الحميد: (لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)¹¹⁰ ، وفي سورة طه، وصفه بالسوي فقال: (فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى)¹¹¹ .

وفي سورة الحج أضافه للحميد فقال: (وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ)¹¹² وفي سورة المؤمنون عرفه دون وصف أو إضافة: (وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاكِبُونَ)¹¹³ ، وفي مريم يقول إبراهيم -عليه السلام- لأبيه: (فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا)¹¹⁴ .

وقول الله في سورة الأنعام: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ)¹¹⁵ .

هذه بعض الآيات التي وردت في (الصِّرَاطِ) فما معناه؟

قال الطبري -رحمه الله-: في قوله تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)¹¹⁶ .

أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وذلك في لغة جميع العرب، ومن قول الشاعر:

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم¹¹⁷

وقال ابن عباس: قال جبريل لمحمد -صلى الله عليه وسلم-: اهدنا الصراط

المستقيم: يقول ألهنا الطريق الهادي، وهو دين الله الذي لا عوج له¹¹⁸ .

¹¹⁰ إبراهيم : 1

¹¹¹ طه : 135

¹¹² الحج : 24

¹¹³ المؤمنون : 74

¹¹⁴ مريم : 43

¹¹⁵ الأنعام : 153

¹¹⁶ الفاتحة : 6

¹¹⁷ انظر: تفسير الطبري الجزء 1 (73).

قال الطبري - رحمه الله -:

وإنما وصفه الله بالاستقامة، لأنه صواب لا خطأ فيه¹¹⁹.

وقال: وكل حائد عن قصد السبيل، وسالك غير المنهج القويم فضال عند العرب، لإضلاله وجه الطريق¹²⁰.

أقوال المفسرين في الصراط المستقيم:

فقد روى الطبري عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: ذكر القرآن فقال: "هو الصراط المستقيم"¹²¹.

وقال علي: الصراط المستقيم، كتاب الله تعالى.

وبمثل ذلك فسره عبد الله بن م سعود - رضي الله عنه - وقال جابر بن عبد الله - رضي الله عنه -: اهدنا الصراط المستقيم الإسلام، قال: هو أوسع مما بين السماء والأرض، وقال ابن عباس: ذلك الإسلام، وقال ابن عباس - رضي الله عنه - هو الطريق¹²².

وقال القاسمي - رحمه الله -: أشار شيخ الإسلام ابن تيمية في مبحث له مهم نشره عنه هنا لما فيه من الفوائد الجليلة، قال - رحمه الله -: ينبغي أن يعلم أن الاختلاف الواقع من المفسرين وغيرهم على وجهين: أحدهما ليس فيه تضاد

¹¹⁸ انظر: تفسير الطبري الجزء 1 (74).

¹¹⁹ تفسير الطبري الجزء 1 (74).

¹²⁰ انظر: المصدر السابق (84).

¹²¹ أخرجه الترمذي كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن، (158/5 رقم 2906)، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال، وأخرجه أيضاً الدارمي (527/2 رقم 3332)، وأخرجه أحمد مختصراً (91/1) قال الحافظ ابن كثير في فضائل القرآن (11-12) وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين - رضي الله عنه - وقد وهم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح.

¹²² تفسير ابن كثير الجزء 1 (27).

وتناقض، بل يمكن أن يكون كل منهما حقاً، وإنما هو اختلاف تنوع، أو اختلاف في الصفات أو العبادات وعمامة الاختلاف الثابت بين مفسري السلف من الصحابة والتابعين هو من هذا الباب، فالله - سبحانه وتعالى - إذا ذكر القرآن اسماً مثل قوله: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)¹²³، فكل من المفسرين يعبر عن الصراط المستقيم بعبارة يدل بها على بعض صفاته، وكل ذلك حق، بمنزلة ما يسمى الله ورسوله، وكتابه بأسماء كل اسم منها يدل على صفة من صفاته.

فيقول بعضهم: الصراط المستقيم: كتاب الله أو اتباع كتاب الله.

ويقول الآخر: الصراط المستقيم هو الإسلام أو دين الإسلام.

ويقول الآخر: الصراط المستقيم: هو السنة والجماعة.

ويقول الآخر: الصراط المستقيم: طريق العبودية، أو طريق الخوف والرضا والحب، وامتنال المأمور واجتناب المحذور، أو متابعة الكتاب والسنة، أو العمل بطاعة الله، ونحو هذه العبارات والأسماء، ومعلوم أن المسمي هو واحد، وإن تنوعت صفاته وتعددت أسماؤه¹²⁴.

ثم قال في موضع آخر: فإن الصراط المستقيم أن تفعل في كل وقت ما أمرت به في ذلك الوقت من علم وعمل، ولا تفعل ما نهيت عنه، وهذا يحتاج في وقت إلى أن تعلم ما أمر به في ذلك الوقت، وما نهى عنه، وإلى أن يحصل لك إرادة جازمة لفعل المأمور، وكراهة لترك المحذور، والصراط المستقيم قد فسر بالقرآن أو الإسلام، وطريق العبودية، وكل هذا حق، فهو موصوف بهذا وبغيره¹²⁵.

¹²³ الفاتحة : 6

¹²⁴ انظر: محمد جمال الدين القاسمي، راجعه محمد فؤاد عبد الباقي، تفسير القاسمي الجزء 1 الطبعة الثانية (بيروت، دار

الفكر (1978)(20).

¹²⁵ انظر: المرجع السابق (22).

الصلة بين الوسطية والصراف المستقيم

مما تقدم يتضح أن معنى الصراف المستقيم يدل على الوسطية في مفهومها الشرعي الاصطلاحي الذي سبق تقريره، وبخاصة أن ما جعلته لازماً لمفهوم الوسطية وإطلاقها قد تحقق في معنى الصراف المستقيم، فالخيرية والبينية ظاهرتان في هذا الأمر، فنجد في سورة الفاتحة لما قال تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)¹²⁶ عرفه فقال: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)¹²⁷ ثم حدده فقال: (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)¹²⁸ فجعل الصراف المستقيم طريق الأخيار، وهم الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهو بين طريقي المغضوب عليهم والضالين.

وكذلك في سورة البقرة قال تعالى: (يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)¹²⁹ فقال بعدها مباشرة: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)¹³⁰، وقد تحدث المفسرون عن الكاف في هذه الآية، وذكر غير واحد (الكاف) للربط بين جعلهم أمة وسطاً وهدايتهم للصراف المستقيم¹³¹.

وبالتأمل فيما سبق يتضح للباحث ما يلي:

¹²⁶ الفاتحة : 6

¹²⁷ الفاتحة : 6

¹²⁸ الفاتحة : 7

¹²⁹ البقرة : 142

¹³⁰ البقرة : 143

¹³¹ تفسير الطبري الجزء 2 (6).

1. أن الصراط المستقيم: يمثل قمة الوسطية وأعلى درجاتها، وآيتنا الفاتحة والبقرة حجة قاطعة في ذلك.

2. أن الوسطية تعني الخيرية، سواء أكانت خير الخيرين أو خيراً بين شرين، أو خيراً بين أمرين متفاوتين، وقد سبق تفصيل ذلك.

3. أن المقياس لتحديد الخيرية هو الشرع، وليس هوى الناس أو ما تعارفوا عليه أو ألفوه، فإن مفهوم الوسطية عند كثير من الناس تعني التنازل أو التساهل؛ بل والمداهنة أحياناً، حيث يختارون الأمر بين الخير والشر وهو إلى الشر أقرب في حقيقته ومآله، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

4. أن هناك عوامل كثيرة، وأصولاً معتبرة¹³²، تجب مراعاتها عند ضبط مفهوم الوسطية وتطبيقها على أمر من الأمور، حيث إن قصر النظر على أمر دون آخر يؤدي إلى خلاف ذلك ومجانبته.

وبعد بيان أسس الوسطية ذهب الباحث بذكر ملامح الوسطية التي هي سمات أخرى من الوسطية، وهي :

المبحث الأول : الخيرية

قال الطبري -رحمه الله-: ((معنى ذلك: كنتم خير أمة أخرجت للناس، إذا كنتم بهذه الشروط التي وصفهم -جل ثناؤه- بها، فكان تأويل ذلك عندهم: كنتم

¹³²الوسطية في ضوء القرآن (79، 80، 81).

خير أمة تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله، أخرجوا للناس في زمانكم))¹³³.

قال أبو مسعود¹³⁴ -رحمه الله-: (تؤمنون بالله) أي إيماننا متعلقا بكل ما يجب أن يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء، وإنما لم يصرح به تفصيلا لظهور أنه الذي يؤمن به المؤمنون، وللايذان بأنه هو الإيمان بالله تعالى حقيقة¹³⁵، وقال القاسمي -رحمه الله-: ثم بين وجه الخيرية بما لم يحصل مجموعها لغيرهم بقوله: (تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)¹³⁶، فبهذه الصفات فضلوا على غيرهم ممن قال تعالى فيهم: (كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)¹³⁷، (وَيَقُولُونَ نُوْمِنُ بِبَعْضٍ وَنُكْفِرُ بِبَعْضٍ)¹³⁸.

وقال محمد رشيد رضا -رحمه الله-: ((إن هذه الأمة ما فتئت خير أمة أخرجت للناس، حتى تركت الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ثم قال: وقد بين الفخر الرازي كون وصف الأمة هنا بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان علة لكونها خير أمة أخرجت للناس، فقال: واعلم أن هذا الكلام مستأنف والمقصود منه بيان علة تلك الخيرية، كما تقول: زيد كريم، يطعم الناس ويكسوهم، ويقوم بما يصلحهم)).

¹³³ تفسير الطبري الجزء 4 (44).

¹³⁴ هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الفقيه الحنفي المفسر الأصولي الشاعر صاحب تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ولد سنة 893هـ، وتوفي عام 982هـ. انظر ترجمته في بدر الطالع الجزء 1 (261).

¹³⁵ تفسير القاسمي الجزء 4 (936).

¹³⁶ آل عمران : 110

¹³⁷ المائدة : 79

¹³⁸ النساء : 150

وتحقيق الكلام أنه ثبت في أصول الفقه أن ذكر الحكم مقرونا بالوصف المناسب له يدل على كون ذلك الحكم معللاً بذلك الوصف، وهنا حكم تعالى بثبوت وصف الخيرية لهذه الأمة، ثم ذكر عقيبه هذا الحكم وهذه الطاعات، أعنى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان، فوجب كون تلك الخيرية معللة بهذه العبادات¹³⁹. و آية آل عمران تبين خيرية هذه الأمة، التي جعلها الله أمة وسطاً، وقد جمع المفسرون بين معنيي الخيرية والوسطية، حتى جاء أحدهما تفسيراً للآخر، كما مر.

المبحث الثاني : الاستقامة

الوسطية استقامة، ولو لم تكن على نهج الاستقامة لكانت انحرافاً، والانحراف إما إفراطاً أو تفريطاً، كما سبق بيان ذلك، وهناك شعور لدى بعض الناس أن الوسطية تعني التنازل عن حقيقة الأمر والنهي، ولقد عبر أحد الباحثين عن هذا الشعور الذي يختلج في صدور بعض الناس، حيث طرح سؤالاً ورد عليه، ومما قاله: هل المقصود بالوسطية مرونة الأمة، بحيث لا تصطدم بالأفكار والمبادئ الأخرى عند الالتقاء بها، بل قابليتها للأخذ والعطاء والتنازل عن جزء مما عندها، من أجل تنازل الطرف الآخر؟.

ثم رد على هذا المسلك وبين مخالفته لحقيقة الوسطية ومن هنا فإن من ملامح الوسطية: الاستقامة، ولذلك فمن ادعى الوسطية مع خروجه عن

¹³⁹ محمد رشيد رضا، تفسير المنار الجزء 4 الطبعة الثانية (بيروت، دار المعرفة) دون السنة (60).

الاستقامة، فهذه ليست الوسطية الشرعية في شيء؛ بل هي وسطية نسبية غير التي تحدث البحث عنها.

تعريف الاستقامة

قال الراغب: استقامة الإنسان لزومه للمنهج المستقيم نحو: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا)¹⁴⁰.

وقال ابن القيم: الاستقامة ضد الطغيان، وهو مجاوزة الحدود في كل شيء¹⁴¹.

وقال القرطبي: الاستقامة: الاستمرار في جهة واحدة من غير أخذ في جهة اليمين والشمال¹⁴². وسئل صديق الأمة وأعظمها استقامة - أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - عن الاستقامة؟ فقال: (أن لا تشرك بالله شيئاً)¹⁴³ يريد الاستقامة على محض التوحيد، فإن من استقام على محض التوحيد الصادق الذي يدين به الصديق واستقام له توحيدته على العلم الصادق بأسماء الله وصفاته وآثارها في الأنفس، والآفاق، استقام في كل شأنه على الصراط المستقيم، فاستقام له كل عمل وكل حال¹⁴⁴.

وأختم الكلام عن الاستقامة بما قاله ابن القيم في مدارج السالكين مما يتضح معه علاقة الاستقامة بالوسطية، وأنه لا استقامة بلا وسطية، ولا وسطية بدون استقامة قال: (وهي - أي الاستقامة - على ثلاث درجات الدرجة الأولى:

¹⁴⁰ فصلت : 30

¹⁴¹ ابن القيم، تهذيب مدارج السالكين الجزء 2 الطبعة الثالثة (مؤسسة الرسالة 1989) (104/2).

¹⁴² تفسير القرطبي (107/9).

¹⁴³ تهذيب مدارج السالكين الجزء 2 (527).

¹⁴⁴ المرجع السابق الجزء 2 (528).

الاستقامة على الاجتهاد في الاقتصاد، ولا عاديًا رسم العلم، ولا متجاوزًا حد الإخلاص، ولا مخالفًا نهج السنة¹⁴⁵.

المبحث الثالث : اليسر ورفع الحرج

إن من أول ما تبادر إلى الذهن عندما تطلق كلمة (الوسطية) هو معنى اليسر والتيسير، ورفع الحرج، وهذا الفهم صحيح فإن من أبرز سمات الوسطية: التيسير ورفع الحرج.

وقد تقرر فيما مضى أن هذا الدين هو دين (الوسط) فلا غلو ولا جفاء، ولا إفراط ولا تفريط. واليسر ورفع الحرج مرتبة عالية بين الإفراط والتفريط، وبين التشدد والتنطع وبين الإهمال والتضييع.

قال ابن منظور في تعريف اليسر: (اليسر: اللين والانقياد، والميسرة: السعة والغني وتيسر الشيء واستيسر: تسهل، واليسر: ضد العسر)¹⁴⁶.

أمّا الحرج في اللغة: (أضيق الضيق، وحرج فلان على فلان: إذا ضيق عليه)¹⁴⁷. وبعد هذا التعريف للحرج يكون رفع الحرج هو إزالة ما يؤدي إلى هذا المشاق الموضحة في التعريف، ويتوجه الرفع والإزالة إلى حقوق الله - سبحانه وتعالى-؛ لأنها مبنية على المسامحة، ويكون ذلك إما بارتفاع الإثم عند الفعل، وإما بارتفاع الطلب للفعل، وحينًا يرتفع كل ذلك ترتفع حالة الضيق التي يعانيتها المكلف

¹⁴⁵ المرجع السابق الجزء 2(105).

¹⁴⁶ لسان العرب باب يسر: (259).

¹⁴⁷ لسان العرب باب (حرج) (233).

حينما يستشعر أنه يقدم على ما لا يرضي الله، وهذا هو الحرج النفسي والخوف من العقاب الأخرى.

كما يرفع الحرج الحسي حينما يكون التكليف شاقاً فيأتي العفو من الله - سبحانه وتعالى- إما بالكف عن الفعل الموقع في الحرج، وإما بإباحة الفعل عند الحاجة إليه

و من الدليل القرآني في اليسر قال تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)¹⁴⁸ ، وقال سبحانه: (يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا)¹⁴⁹ ، وقال -عز وجل-: (وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى) وقال في سورة الشرح: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا* إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)¹⁵⁰ وفي سورة الطلاق: (سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا)¹⁵¹ .

هذه بعض الآيات التي تفيد التيسير على هذه الأمة، قال القاسمي في تفسير آية البقرة قال الشعبي: (إذا اختلف عليك أمران، فإن أيسرهما أقربهما إلى الحق لهذه الأمة)¹⁵² .

وقد ذكر المفسرون في تفسيرهم لهذه الآيات أن الله أراد لهذه الأمة اليسر ولم يريد لها العسر¹⁵³ .

من أقوى الأدلة في الدلالة على رفع الحرج قوله تعالى: (وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)¹⁵⁴ .

¹⁴⁸ البقرة : 175

¹⁴⁹ النساء : 28

¹⁵⁰ الانشراح : 5-6

¹⁵¹ الطلاق : 7

¹⁵² تفسير القاسمي الجزء 3 (427).

¹⁵³ تفسير الطبري الجزء 2 (156) وتفسير ابن كثير الجزء 1 (217).

¹⁵⁴ الحج : 78

قال الطبري في تفسير هذه الآية: (جعل الدين واسعاً ولم يجعله ضيقاً). قال ابن كثير: (أي: ما كلفكم ما لا تطيقون وما ألزمكم بشيء يشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجا ومخرجا)¹⁵⁵.

وقال سبحانه: (مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَليُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)¹⁵⁶، وفي سورة التوبة: (لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ)¹⁵⁷.

وفي هذه الآيات دلالة ظاهرة على رفع الحرج عن هذه الأمة، وأن الله لم يجعل في التشريع حرجاً، وبعض هذه الآيات وإن كانت خاصة في أحكام معينة، ولكننا نجد التعليل عاماً، فكأن التخفيف ورفع الحرج في هذه الأحكام والفروض بإعادة الشيء إلى أصله وهو رفع الحرج عن هذه الأمة، فكل شيء يؤدي إلى الحرج لسبب خاص أو عام فهو معفو عنه، رجوعاً إلى الأصل والقاعدة¹⁵⁸.

أدلة عدم التكليف بما يصاد الوسع والطاقة:

قال سبحانه في سورة البقرة: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) وقال الله تعالى كما في الحديث الصحيح: "قد فعلت"¹⁵⁹، وكذلك قوله: (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا)¹⁶⁰.

¹⁵⁵ تفسير الطبري (207/17).

¹⁵⁶ المائدة : 6

¹⁵⁷ التوبة : 91

¹⁵⁸ الوسطية في ضوء القرآن (106-107).

¹⁵⁹ أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب لا يكلف الله إلا ما يطاق (116/1) رقم (126).

¹⁶⁰ البقرة : 286

قال الدكتور صالح بن حميد في كتابه رفع الحرج في الشريعة الإسلامية: (والوسع ما يسع الإنسان فلا يعجز عنه ولا يضيق عليه ولا يخرج فيه، فقوله تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) أي: لا يحملها إلا ما تسعه وتطبيقه ولا تعجز عنه أو يخرجها دون مدى غاية الطاقة، فلا يكلفها بما يتوقف حصوله على تمام صرف القدوة، فإن عامة أحكام الإسلام تقع في هذه الحدود، ففي طاقة الإنسان وقدرته الإتيان بأكثر من خمس صلوات وصيام أكثر من شهر، ولكن الله جلت قدرته ووسعت رحمته أراد بهذه الأمة اليسر ولم يرد بها العسر)¹⁶¹.

المبحث الرابع : البينية

إن البينية من لوازم وصفات الوسطية، إن إطلاق لفظ البينية يدل على وقوع شيء بين شيئين أو أشياء، وقد يكون ذلك حسا ومعنى. أقوال العلماء عن البينية، ومن قال بذلك منهم في القديم والحديث¹⁶².

1. الإمام الطبري، حيث قال في تفسيره: (وأنا أرى أن الوسط في هذا الموضع هو الوسط الذي بمعنى الجزء، الذي هو بين طرفين، مثل وسط الدار. وأرى أن الله تعالى ذكره - إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذي غلوا بالترهب، وقولهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا

¹⁶¹ انظر الصفحة (69).

¹⁶² انظر: الوسطية في ضوء القرآن.

أنبياءهم وكذبوا على ربهم وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها¹⁶³.

2. وقال الشيخ رشيد رضا: (إن الوسط هو العدل والخيار، وذلك أن الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط، والنقص عنه تفريط وتقصير، وكل من الإفراط والتفريط مثل عن الجادة القويمية، فهو شر ومذموم، فالخيار هو الوسط بين طرفي الأمر، أي المتوسط بينهما)¹⁶⁴.

3. وقال الدكتور يوسف القرضاوي¹⁶⁵: (ونعني بها- أي الوسطية- التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متفاوتين، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير، ويطرده المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطعن على مقابله، ويحيف عليه، ثم ذكر بعض الأمثلة في ذلك)¹⁶⁶.

4. وقال الأستاذ سيد قطب¹⁶⁷ في كتابه (منهج التربية الإسلامية): إن الوسطية هي التوازن، والتوازن هو العدل، حيث قال في قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)¹⁶⁸، وسطاً في كل شيء، متوازنين في كل ما تقومون به من نشاط، ثم بين أن الوسطية تعني التوفيق بين أشياء كثيرة، كالتوفيق بين

¹⁶³ تفسير الطبري الجزء 2 (6).

¹⁶⁴ تفسير المنار الجزء 2 (4).

¹⁶⁵ هو الشيخ الداعية الفقيه الدكتور يوسف القرضاوي من علماء الأزهر جهود مشكورة في مجال الدعوة والعلم وهو الآن

مقيم في قطر.

¹⁶⁶ Karakteristik Islam: Kajian analitik... (141).

¹⁶⁷ محمد قطب من كبار مفكري العلماء الإسلاميين المعاصرين وهو الآن مقيم في مكة مدرسا في الدراسات العليا في

جامعة أم القرى.

¹⁶⁸ البقرة : 143

مطالب الفرد الواحد، وبين مطالب الجموع، والتوفيق بين العمل للعاجلة والآجلة وهكذا.

المبحث الخامس : العدل و الحكمة

إن الحكمة ملمح من ملامح الوسطية، وبيان هذا: أن التوسط هو توسط معنوي، وتحديد هذا التوسط يكون بمراعاة جميع الأطراف، تحقيقاً للمصالح، ودرءاً للمفاسد، وهذه هي الحكمة الشرعية وبعبارة أخرى: فإن الوسطية أمر نسبي، يخضع تحديده لعوامل عدة لا بد من مراعاتها، ولا يتحقق ذلك إلا بإتقان الحكمة. ذكر العلماء مفهوم الحكمة في القرآن الكريم والسنة النبوية¹⁶⁹، واختلفوا على أقوال كثيرة، ف قيل: الحكمة هي النبوة وقيل: القرآن، والفقه به: ناسخة ومنسوخة، ومحكمة ومتشابهة، ومقدمه ومؤخره، وحلال وحرامه وأمثاله. وقيل: الإصابة في القول والفعل: وقيل: معرفة لاحق والعمل به، وقيل: العلم النافع والعمل الصالح، وقيل: الخشية لله، وقيل: السنة، وقيل: الورع في دين الله، وقيل: العلم والعمل به، ولا يسمى الرجل حكيماً إلا إذا جمع بينهما، وقيل: وضع كل شيء في موضعه، وقيل: سرعة الجواب مع الإصابة¹⁷⁰.

(وهذه الأقوال كلها قريب بعضها من بعض؛ لأن الحكمة مصدر من الأحكام، وهو الإتقان في قول أو فعل، فكل ما ذكر فهو نوع من الحكمة التي هي الجنس، فكتاب الله حكمة، وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- حكمة، وكل ما

¹⁶⁹ البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة (165/1).

¹⁷⁰ تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (436/1، 60/3-61)، زاد المسير (324/1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (131/2)، (61-60/3).

ذكر من التفضيل فهو حكمة، وأصل الحكمة ما يمتنع به من السفه، فقليل للعلم حكمة؛ لأنه يمتنع به من السفه، وبه بعلم الامتناع من السفه الذي هو كل فعل قبيح...¹⁷¹.

وعند التأمل والنظر نجد أن التعريف الشامل الذي يجمع ويضم جميع هذه الأقوال في تعريف الحكمة هو: (الإصابة في الأقوال والأفعال، ووضع كل شيء في موضعه)¹⁷².

فجميع الأقوال تدخل في هذا التعريف، لأن الحكمة مأخوذة من الحكم وفصل القضاء الذي هو بمعنى الفصل بين الحق والباطل: يقال: إن فلانا لحكيم بين الحكمة، يعني: أنه بين الإصابة في القول والفعل، فجميع التعاريف داخلية في هذا القول، لأن الإصابة في الأمور إنما تكون عن فهم بها، وعلم، ومعرفة، والمصيب عن فهم منه بمواضع الصواب يكون في جميع أموره: فهما، خاشيا لله، فقيها عالما، عاملا بعلمه، ورعا في دينه. والحكمة أعم من النبوة، والنبوة بعض معانيها وأعلى أقسامها، لأن الأنبياء عليه الصلاة والسلام مسددون، مفهمون، وموفقون لإصابة الصواب في الأقوال، والأفعال، والاعتقادات، وفي جميع الأمور.

أفضل التعريفات للحكمة التي يعرف بها علاقتها بالوسطية تعريفني الشيخ عبد الرحمن السعدي، والأستاذ سيد قطب رحمهم الله.

وقال سيد قطب -رحمه الله-: (القصد والاعتدال وإدراك العلل والغايات، والبصيرة المستنيرة التي تهديه للصالح الصائب من الحركات والأعمال)¹⁷³. وكلامهما في غاية الدلالة على صلة الحكمة بالوسطية.

¹⁷¹ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي الجزء 3(330).

¹⁷² سعيد بن وهف الفحطاني، الحكمة في الدعوة إلى الله الطبعة الأولى (الرياض، مؤسسة الجريسي 1992) (27).

وأن الحكمة لابد من اعتبارها عند تحديد معنى الوسطية؛ بل إن الالتزام بالوسطية وعدم الجنوح إلى الإفراط أو التفريط هو عين الحكمة وجوهرها، وذلك أن الخروج عن الوسطية له آثاره السلبية، إما عاجلا، أو آجلا، وهذا يخالف الحكمة وينافيها.

الفصل الثاني : مظاهر الوسطية في خلقه و شرعه

نزل القرآن الكريم هدايةً للناس ونورا، يُخرج به الله من شاء من الظلمات إلى النور، ولزوم منهج الوسطية عين الهداية، وحقيقتها، ولذلك فقد جاءت الآيات مستفيضةً ترسم منهج الوسطية وتدلل عليه.

والوسطية ليست محصورةً في جزئية من الجزئيات، بل ولا في ركن من الأركان. وإنما هي منهج متكامل شامل، لا ينفصل بعضه عن بعض، فالإسلام كله وسط، ولذلك فهذه الأمة هي أمة الوسط: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)¹⁷⁴.

وبعد بيان "الوسطية" التي هي صفة هذا الدين و خصائصه، و يعبر أيضا ب(التوازن) و(الاعتدال) و نعني بها - مستندا كما عبّر القرضاوي - : التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير، ويطرد الطرف المقابل، و بحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على مقابله و يحيف عليه.¹⁷⁵

¹⁷³ في ظلال القرآن الجزء 1(312).

¹⁷⁴ البقرة : 143

¹⁷⁵ القرضاوي، *Karakteristik Islam ...* (141).

مثال الأطراف المتقابلة أو المتضادة: الروحية والمادية، الأخروية والدينيوية، الوحي والعقل، الماضية والمستقبلية، الفردية والجماعية، الواقعية والمثالية، الثبات والتغير، وما شابهها. ومعنى التوازن بينها هو: أن يُفسح لكل طرف منها مجاله، ويعطي حقه ب(القِسْطِ) أو (بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ)، بلا وَكْـس ولا شَطْط، ولا غلو ولا تقصير، ولا طغيان ولا إحصار. كما أشار إلى ذلك كتاب الله بقوله: (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ)¹⁷⁶. فالوسطية هي التي تقيم الوزن بالقسط، فلا طغيان ولا إحصار.

ومناسبة إيراد الآيات السابقة لموضوع البحث هو ما تضمنته هذه الآيات من ذكر شمول علم الله عز وجل وبديع صنعه وحكمته البالغة في خلقه وأمره وشرعه، وما فيها من الدقة والتناسق والتوازن والعدل وقيام ذلك كله بالحق وللحق. و تعقيدا لذلك ستذكر المظاهر فتبين بما شمول و توازن هذا الدين، و من بعض المظاهر:

المبحث الأول : مظاهر الوسطية في خلقه

إذا نظرنا في هذا العالم من حولنا فوجدنا الليل والنهار، والظلام والنور، والحرارة والبرودة، والماء واليابس، والغازات المختلفة، كلها بقدر وميزان وحساب، لا يطغى شيء منها على مقابله. وكذلك الشمس والقمر والنجوم والمجموعات الكونية في فضاء الله الفسيح، إن كلاً منها يسبح في مداره، ويدور في فلكه، دون أن

¹⁷⁶ الرحمن : 7-9

يصدم غيره، أو يخرج عن دائرته. وصدق الله العظيم إذ يقول: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)¹⁷⁷، (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)¹⁷⁸.

قال تعالى: (مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ)¹⁷⁹، وقال عن كتابه الكريم المتضمن لأمره وشرعه: (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)¹⁸⁰، وقال أيضاً عن شمول كتابه الكريم: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ)¹⁸¹، وقال سبحانه عن إتقانه لمخلوقاته: (صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ)¹⁸².

يتحدث الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - عند قوله تعالى: (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) فيقول: ((فخلقه وأمره صدرا عن حكمته وعلمه، وحكمته وعلمه اقتضيا ظهور خلقه وأمره، ... ولهذا يقرن سبحانه بينهما عند ذكر إنزال كتابه، وعند ذكر ملكه وربوبيته؛ إذ هما مصدر الخلق والأمر...)).¹⁸³

¹⁷⁷ القمر : 49

¹⁷⁸ يس : 40

¹⁷⁹ الأحقاف : 3

¹⁸⁰ فصلت : 41-42

¹⁸¹ النحل : 89

¹⁸² النمل : 88

¹⁸³ الأعراف : 54، بدائع التفسير الجزء 2 (218). وقال في موطن آخر: فانظر حكمة الله عز وجل في خلقه وأمره فيما خلقه وفيما شرعه تجد مصدر ذلك كله الحكمة البالغة التي لا يختل نظامها ولا ينخرم أبداً ولا يختل أصلاً، ومن الناس من يكون حظه من مشاهدة حكمة الأمر أعظم من مشاهدة حكمة الخلق، وهؤلاء خواص العباد الذين عقلوا عن الله أمره ودينه، وعرفوا حكمته فيما أحكمه، وشهدت فطنهم وعقولهم أن مصدر ذلك حكمة بالغة وإحسان ومصلحة أريدت بالعباد في معاشهم ومعادهم، وهم في ذلك درجات لا يحصيها إلا الله.

ويتحدث سيد قطب - رحمه الله - عن منهج الله القائم على العلم المطلق والحكمة البالغة في الخلق والشرع فيقول: إن شريعة الله تمثل منهجاً شاملاً متكاملًا للحياة البشرية؛ يتناول بالتنظيم والتوجيه والتطوير كل جوانب الحياة الإنسانية؛ في جميع حالاتها، وفي كل صورها وأشكالها ..

وهو منهج قائم على العلم المطلق بحقيقة الكائن الإنساني، والحاجات الإنسانية، وبحقيقة الكون الذي يعيش فيه الإنسان؛ وبطبيعة النواميس التي تحكمه وتحكم الكينونة الإنسانية .. ومن ثم لا يفرض في شيء من أمور هذه الحياة، ولا يقع فيه ولا ينشأ عنه أي تصادم مدمر بين أنواع النشاط الإنساني، ولا أي تصادم مدمر بين هذا النشاط والنواميس الكونية؛ إنما يقع التوازن والاعتدال والتوافق والتناسق. الأمر الذي لا يتوافر أبدًا لمنهج من صنع الإنسان الذي لا يعلم إلا ظاهرًا من الأمر، وإلا الجانب المكشوف في فترة زمنية معينة، ولا يسلم منهج يتدعه من آثار الجهل الإنساني، ولا يخلو من التصادم المدمر بين بعض ألوان النشاط وبعض، و - من - الهزات العنيفة الناشئة عن هذا التصادم.

وهو منهج قائم على العدل المطلق. أولاً: لأن الله يعلم حق العلم بم يتحقق العدل المطلق وكيف يتحقق. وثانياً: لأنه - سبحانه - رب الجميع؛ فهو الذي يملك أن يعدل بين الجميع، وأن يجيء منهجه وشرعه مبرأ من الهوى والميل والضعف - كما أنه مبرأ من الجهل والقصور والغلو والتفريط - الأمر الذي لا يمكن أن يتوافر في أي منهج أو في أي شرع من صنع الإنسان ذي الشهوات والميول، والضعف والهوى - فوق ما به من الجهل والقصور - سواء كان المشرع فردًا، أو طبقة، أو أمة، أو جيلًا من أجيال البشر. فلكل حالة من هذه الحالات أهواؤها

وشهواتها وميولها ورغباتها؛ فوق أن لها جهلها وقصورها وعجزها عن الرؤية الكاملة لجوانب الأمر كله حتى في الحالة الواحدة في الجيل الواحد.

وهذه كله منهج متناسق في الكون كله؛ لأن صاحبه هو صاحب هذا الكون كله، صانع الكون وصانع الإنسان؛ فإذا شرع للإنسان شرع له كعنصر كوني، له سيطرة على عناصر كونية مسخرة له بأمر خالقه؛ بشرط السير على هداه، وبشرط معرفة هذه العناصر والقوانين التي تحكمها. ومن هنا يقع التناسق بين حركة الإنسان وحركة الكون الذي يعيش فيه، وتأخذ الشريعة التي تنظم حياته طابعاً كونياً، ويتعامل بها لا مع نفسه فحسب، ولا مع بني جنسه فحسب! ولكن كذلك مع الأحياء والأشياء في هذا الكون العريض الذي يعيش فيه ولا يملك أن ينفذ منه، ولا بدَّ له من التعامل معه وفق منهاج سليم قويم.¹⁸⁴

المبحث الثاني : مظاهر الوسطية في شرعه

في الفصل السابق كان الحديث عن مظاهر العدل والحق والتوازن في خلق الله عز وجل وآياته الباهرة في الآفاق والأنفس. وأول ما أمر الله عز وجل به: توحيده سبحانه في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته. والتوسط واضح فيه بكونه وسطاً بين الغلو والتفريط، كما يتضح التوسط والعدل في ما شرعه سبحانه من الأحكام في العبادات والمعاملات. وفي ذلك يقول الإمام الشاطبي - رحمه الله تعالى - : "الشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل، الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه، الداخلة تحت كسب

¹⁸⁴ في ظلال القرآن الجزء 2 (890).

العبد من غير مشقة عليه ولا انحلال، بل هو تكليف جار على موازنة تقتضي في جميع المكلفين غاية الاعتدال كتكاليف الصلاة، والصيام، والحج، والجهاد، والزكاة، وغير ذلك مما شرع ابتداء على غير سبب ظاهر اقتضى ذلك، أو لسبب يرجع إلى عدم العلم بطريق العمل؛ كقوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ) ¹⁸⁵، (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ) ¹⁸⁶ وأشبهه ذلك".

وفي هذا الفصل وما تحته من المباحث سيكون الكلام - إن شاء الله تعالى - عن بعض مظاهر العدل والحق والوسطية في أمر الله عز وجل وشرعه ¹⁸⁷. و من المظاهر فيه :

الوسطية في الاعتقاد:

أ- العقيدة لغة (من العقد، وهو الربط والشدة بقوة، منه الإحكام والإبرام، والتماسك والمراسة والإثبات والتوثق) ¹⁸⁸.
 ب- العقيدة في الاصطلاح: كلمة العقيدة لم تكن موجودة في الكتاب والسنة، ولا في أمهات المعاجم، وإن أول من ذكره لجمعها (عقائد) هو القشيري ¹⁸⁹ سنة 437هـ في كتاب الرسالة وهي كلمة مولدة لم تكن في الصدر الأول.

¹⁸⁵ البقرة : 219

¹⁸⁶ البقرة : 219

¹⁸⁷ كان ذكر الظواهر وترتيبها مستندا على ما قاله القضاوي من كتابه "Karakteristik Islam" ترجمة رافع الدين منور و

تاج الدين.

¹⁸⁸ لسان العرب، مادة عقد، فصل العين المهملة (295/3).

¹⁸⁹ هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري صاحب الرسالة والتفسير وغيرهما، صحب أبا علي الدقاق وغيره، أخذ الفقه فأتقنه، وأخذ الأصول على ابن فورك، والأستاذ أبي إسحاق، ولد سنة 377هـ، وتوفي سنة

<http://www.wikipedia.org>.465

وقد عرفها الدكتور ناصر العقل¹⁹⁰ فقال: (الإيمان الجازم بالله وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة في أصول الدين وأمر الغيب وأخباره وما أجمع عليه السلف الصالح والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله -صلى الله عليه وسلم- بالطاعة والتحكيم والإتباع).

يشمل التوحيد والإيمان والإسلام والغيبيات والنبوات والقدر والأخبار، وأصوله الأحكام القطعية، وسائر أصوله الدين، والاعتقاد، ويتبعه الرد على أهل الأهواء والبدع وسائر الملل والنحل والمذاهب الضالة، والموقف منهم ومن مسميات هذا العلم، العقيدة، والتوحيد، والسنة، وأصول الدين.

والعقيدة في الإسلام تقابل الشريعة، إذ الإسلام عقيدة وشريعة تعني التكاليف العملية التي جاءت في القرآن والسنة النبوية في العبادات والمعاملات. والعقيدة هي أمور علمية يجب على المسلم أن يؤمن بها، لأن الله أخبرنا بها عن طريق كتابه، أو عن طريق وحيه إلى رسوله -صلى الله عليه وسلم- وأصول العقائد التي أمرنا الله باعتقادها هي التي حددها الرسول -صلى الله عليه وسلم- في حديث جبريل المشهور بقوله: "الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله تعالى"¹⁹¹ فالعقيدة في ديننا هي التي تدور حول قضايا معينة، هي التي أخبرنا بها الله ورسوله، وليست اعتقاد أي شيء وحتى تصبح هذه عقيدة لا بد أن تصدق بها تصديقاً جازماً لا ريب فيه، فإن كان فيها

¹⁹⁰ هو ناصر عبد الكريم العقل من علماء العقائد بنجد تحصل على درجة الدكتوراه وأشرف على رسائل علمية في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود.

¹⁹¹ مسلم: كتاب الإيمان، باب الإيمان بالقدر (38/1)، رقم (8).

ريب أو شك كانت ظنا لا عقيدة¹⁹² والدليل على ذلك قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا)¹⁹³، وقوله تعالى: (الْم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)¹⁹⁴، وقال: (رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ)¹⁹⁵، واذم المشركين المرتابين: (وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ)¹⁹⁶، والمسائل التي يجب اعتقادها أمور غيبية، ليست مشاهدة منظورة، وهي التي عناها الله بقوله عندما مدح المؤمنين: (يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ)¹⁹⁷، فالله غيب وكذلك الملائكة واليوم الآخر، أما الكتب والرسل فقد يتبادر أنها تشاهد وتنظر، ولكن المراد هو الإيمان بنسبتها إلى الله أي كون الرسل مبعوثين من عند الله، وأن الكتب منزلة من عند الله، وهذا أمر غيبي.

الوسطية في العبادات :

نجد أن القرآن الكريم قرر منهج الوسطية في العبادة في آيات كثيرة، تنظم بها يلي:

أولا: الآيات التي تبين انحراف أولئك الذين صرفوا العبادة عن وجهها الصحيح، وذلك مثل:

قوله تعالى: (قُلْ أَفَغَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ)¹⁹⁸.

¹⁹² د. عمر الأشقر، العقيدة في الله لعمر الأشقر الطبعة الخامسة (الكويت، مكتبة الفلاح (1974) (9-10).

¹⁹³ الحجرات : 15

¹⁹⁴ البقرة : 1-2

¹⁹⁵ آل عمران : 9

¹⁹⁶ التوبة : 45

¹⁹⁷ البقرة : 3

¹⁹⁸ الزمر : 63

وقوله: (وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ كَافِرِينَ)¹⁹⁹.

وقوله: (قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا)²⁰⁰.
 وقوله: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)²⁰¹.

ومثل ذلك قوله: (وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)²⁰².

فهذه الآيات وأمثالها ترسم منهج الوسطية في العبادة بيان انحراف طريق هؤلاء الذين قلبوا العبادة عن وجهها الصحيح.

قال ابن كثير في قوله تعالى: (وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) قال مجاهد وقتادة وغيرهما: (على حرف) على شك وقال غيرهم: على طرف، ومنه حرف الحبل، أي: طرفه، أي: دخل في الدين على طرف، فإن وجد ما يحبه استقر وإلا انشمر)²⁰³.

وانظر: إلى قول القرطبي، حيث إن كلامه نص في محل الشاهد قال: (على حرف) على شك، قاله مجاهد وغيره، وحقيقته أنه على ضعف في عبادته، كضعف القائم على حرف مضطرب فيه، وحرف كل شيء: طرفه وشفيره وحده، ومنه

¹⁹⁹ النمل : 43

²⁰⁰ المائدة : 76

²⁰¹ الزمر : 3

²⁰² الحج : 11

²⁰³ تفسير ابن كثير الجزء 3 (209).

حرف الجبل، وهو أعلاه المحدد وقيل: (على حرف) أي على وجه واحد، وهو أن يعبد على السراء دون الضراء، ولو عبدوا الله على الشكر في السراء والصبر على الضراء لما عبدوا الله على حرف، وقيل: (على حرف) على شرط²⁰⁴.

وقال ابن كثير في قوله تعالى: (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) (الزمر: 3)، أي ليشفعوا لنا ويقربونا عنده منزلة، ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوا في جاهليتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه، جاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، بردها والنهي عنها، والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له، وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله فيه، ولا رضي به، بل أبغضه ونهى عنه²⁰⁵.

ثانياً: الآيات التي جاءت تأمر بعبادة الله وحده، وتصف عبادته بالاستقامة، وبيان عبادته هي الكلمة السواء، وغير ذلك مما يدل على أن عبادته هي الطريق الوسط السالم من الانحراف والضلال: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا)²⁰⁶.

وقال في أكثر من موضع: (إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ)²⁰⁷ (آل عمران: 51)، وقال: (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)²⁰⁸.

²⁰⁴ تفسير القرطبي الجزء 12 (17).

²⁰⁵ تفسير ابن كثير الجزء 4 (54).

²⁰⁶ آل عمران : 63 تفسير الطبري الجزء 3 (301).

²⁰⁷ آل عمران : 51

²⁰⁸ الحجر : 99

وبهذا يتضح لنا أن هذه الآية نص في الوسطية في العبادة، وهي عبادة الله وحده.

أما قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ)، فقد قال الطبري في معناها ذلك هو الطريق القويم، والهدى المتين الذي لا اعوجاج²⁰⁹.

وقال في آية مريم: (وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ)، يقول: هذا الذي أوصيتكم به، وأخبرتكم أن الله أمرني به هو الطريق المستقيم، الذي من سلكه نجا، ومن ركبه اهتدى؛ لأنه دين الله الذي أمر به أنبياءه²¹⁰.

وقال القاسمي: في قوله تعالى: (فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) (أي قويم، من تبعه رشد وهدى، ومن خالفه ضل وغوي)²¹¹.

الوسطية في الأخلاق :

معني الأخلاق: يعني بأخلاق القوى والسجايا النفسية الراسخة، التي تصدر عنها أنماط السلوك الإنساني الخارجي، من خلال إرادة حرة، وهي تمثل الصورة الباطنية للإنسان، كما أن الخلق يمثل الصورة الظاهرة، وكلاهما يكون حسنا أو قبيحا، والأصل في الخلق أن يكون اختياريا يكسب بالتخليق والجهد والمثابرة على التزام جانب التسامي، ولذلك يمدح به الإنسان أو يذم، ويثاب عليه أو يعاقب، بخلاف الخلق فهو فطرة مقسومة محدودة، لا مدخل لأحد فيها ولا اختيار، ولا يتعلق بها لذاتها مدح أو ذم، ولا يترتب عليها ثواب أو عقاب²¹².

²⁰⁹آل عمران : 51، تفسير الطبري الجزء 3 (283).

²¹⁰مريم : 36، تفسير الطبري الجزء 16 (85).

²¹¹مريم : 36، تفسير القاسمي الجزء 11 (4137).

²¹²د. عبد الستار فتح الله سعد، المنهاج القرآني في التشريع الطبعة الأولى (دار الطباعة الإسلامية دون المدينة 1992)

ومعلوم لدى أصحاب الفطرة السليمة أن الله تعالى فطر الإنسان على الخير، وركز في فطرته أصول الأخلاق والفضائل السامية، وركب فيه حب موافقتها، بغض إليه مخالفتها إلا من انتكست فطرته تحت وطأة البيئة، وضلال التربية، وإغواء النفس والشيطان والاختيار (الخلق) حينئذ يكون في اتجاه الإنسان مع أصول فطرته، ومقاومة عوامل التدني والتضليل المذكورة، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)²¹³.

والآيات الكريمة تجمع بين الإلهام الإلهي للإنسان بمقتضى فطرته، والجهد الاختياري له في التزكية، أو التدسية.

وواضح أن الله تعالى يدعو إلى طريق الخير بما وصفه بالتقوى، وفلاح صاحبه، ويكره الطريق الآخر بما وصفه بالفجور، وخيبة صاحبه، ولو شاء منعه قهرا، ولكن حكمته اقتضت الاختيار والأخلاق لذلك تمثل جانبا خطيرا في الحياة الإنسانية؛ بل هي إحدى الميزات العظيمة التي تميز الإنسان²¹⁴.

إن الأخلاق كان لها في المنهج الرباني أهمية كبرى، فصاغها على وفق اتجاهه في الاعتقاد، وبنائها على أساس الحقيقة الكبرى للكون والحياة، وغاية الجنس البشرية ومآله ومهمة وجوده من حيث هو خليفة في الأرض، يقيم فيها شريعة الله ومنهاجه.

ويبين القرآن الكريم مهمة الأخلاق الخطيرة مع الإنسان منذ النشأة الأولى، حين ذكر توبة أبينا آدم، وأنه تاب إلى خلق رضي من أخلاق الإيمان وهو الاعتذار

²¹³ الشمس : 7-10

²¹⁴ المنهاج القرآني في التشريع (409).

عن الخطأ، والاعتراف به، والافتقار إلى مولاه فقال هو وزوجه: (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)²¹⁵.

ويقارن القرآن الكريم هذا الخلق بخلق مضاد له وه الاستكبار والإباء عن أمر الله - عز وجل - الذي أهلك إبليس، وطرده من رحمة الله عن سعتها²¹⁶.

الوسطية في التشريع :

الشرع مصدر شرع بالتخفيف، والتشريع مصدر شرع بالتشديد، والشرعية في أصل الاستعمال اللغوي: مورد الماء الذي يقصد للشرب²¹⁷، ثم استعمالها العرب في الطريقة المستقيمة، وذلك باعتبار أن مورد الماء سبيل الحياة والسلامة للأبدان، وكذلك الشأن من الطريقة المستقيمة، التي تهدي الناس إلى الخير، فيها حياة نفوسهم، وري عقولهم: قال تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا) (218)، ويقال: (شرعت الإبل) إذا وردت شريعة الماء و(شرع له الأمر) بمعنى سنة وبين طريقته، قال تعالى: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا)²¹⁹، وقال: (أَمْ هُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ)²²⁰.

قال صاحب القاموس: الشريعة ما شرعه الله لعباده²²¹.

²¹⁵ الأعراف : 23

²¹⁶ المرجع السابق (410).

²¹⁷ القاموس المحيط، باب العين، فصل الشين (946).

²¹⁸ الجاثية : 18

²¹⁹ الشورى : 31

²²⁰ الشورى : 21

²²¹ القاموس المحيط، (946).

وقال بعضهم: سميت الشريعة شريعة: تشبيها بشريعة الماء من حيث إن من شرع فيها على الحقيقة المصدوقة روى وتطهر.

في الإصطلاح:

ما شرعه الله لعباده من العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات ونظم الحياة في شعبها المختلفة، لتحقيق سعادتهم في الدنيا والآخرة²²².

فشريعة الله هي المنهج الحق المستقيم، الذي يصون الإنسانية من الزيغ والانحراف، ويجنبها مزلق الشر، ونوازع الهوى، وهي المورد العذب الذي يشفي غلتها، ويحيي نفوسها، وترتوي به عقولها، ولهذا كانت الغاية من تشريع الله استقامة الإنسان على الجادة لينال عز الدنيا وسعادة الآخرة.

والشريعة بهذا المعنى خاصة بما ورد الله تعالى، وبلغه رسله لعباده، والله هو الشارع الأول، وأحكامه هي التي تسمى شرعا، فلا يجوز إطلاق هذا على القوانين الوضعية، لأنها صنع البشر، وقد جرى عرف كثير من الكتاب على تسمي القوانين الوضعية بالتشريع الوضعي، وتسمية الوحي الإلهي بالتشريع السماوي، والحق أن الشرع أو الشريعة لا يجوز إطلاقها إلا على الطريقة الإلهية دون سواها من طرائق الناس وأنظمتهم²²³.

فإن المتأمل في كتاب الله تبارك وتعالى وما جاء فيه عن دعوات الرسل وما أنزل عليهم من الكتب ليخرج بحقيقة واحدة، أطبق عليها جميع الرسل، وأنزلت بها جميع الكتب السماوية، هذه الحقيقة هي: الدعوة إلى توحيد الله وعبادته دون سواه، فهي أساس الرسائل وعمودها الفقري، وهي القاسم المشترك بينها، وإن

²²² مناع القطان، التشريع والفقہ الإسلامي الطبعة الثامنة (بيروت، مؤسسة الرسالة 1987) (15).

²²³ المرجع السابق (16).

اختلفت بعد ذلك الشرائع والمناهج فما من نبي أرسل ولا كتاب أنزل إلا وكان أول ما يدعو إليه هو توحيد الله تبارك وتعالى.

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام دينهم واحد، وهو الإسلام وشرائعهم مختلفة كما قال المصطفى -صلى الله عليه وسلم-: "أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد"²²⁴.

قال الحافظ ابن حجر: (ومعنى الحديث: أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلف فروع الشرائع، وقيل: المراد أن أزمئتهم مختلف)²²⁵.

وقال الحافظ ابن كثير في معنى الحديث: (أي: القدر المشترك بينهم وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم ومنهاجهم)²²⁶.

وسيجعل الباحث الحديث عن تقرير القرآن لمنهج الوسطية في التشريع والتكاليف في فقرات متتالية، ليسهل تحرير القضية واستيعابها.

1- امتن الله على هذه الأمة في الكتاب العزيز بأن وضع عنها الإصر والأغلال التي كانت على من قبلها، ولم يحملها ما حمل من قبلها، فكان ذلك مظهرًا من مظاهر وسطية هذا الدين.

يقول - تعالى - في وصف نبيه محمد ص.م.، في كلامه تعالى مع قوم موسى، عليه السلام: (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ)²²⁷. كما أن من جملة دعاء رسول الله، والمؤمنين: (رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَيَّ

²²⁴ أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب (وَأَذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ) [478/6].

²²⁵ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري تصحيح وتعقيب عبد العزيز بن باز، (489/6).

²²⁶ تفسير ابن كثير الجزء 7 (183).

²²⁷ الأعراف: من الآية 157

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا²²⁸. وقد جاء في الحديث: "قال الله: قد فعلت". وفي رواية: "قال: نعم"²²⁹.

والإصر هو العهد الثقيل الذي في تحمّله أشدّ المشقّة.

والأغلال هي الشدائد التي كانت في عبادتهم.

روى الطبري عن الربيع قوله - تعالى - : (رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا)²³⁰ يقول: التشديد الذي شدّته على من قبلنا من أهل الكتاب.

وقال مالك: الإصر: الأمر الغليظ²³¹.

وقال سعيد: الإصر: شدّة العمل²³².

وقال مجاهد: من اتبع محمداً ودينه من أهل الكتاب، وضع عنهم ما كان عليهم من التشديد في دينهم²³³.

قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الإصر: هو العهد، وأن معنى الكلام: ويضع النبي الأمي العهد الذي كان الله أخذ على بني إسرائيل من إقامة التوراة، والعمل بما فيها من الأعمال الشديدة، كقطع الجلد من البول، وتحريم الغنائم، ونحو ذلك من الأعمال التي كانت مفروضة عليهم، فنسخها حكم القرآن²³⁴.

²²⁸ البقرة : من الآية 286

²²⁹ أخرجه مسلم (116/1) رقم (126).

²³⁰ البقرة : من الآية 286

²³¹ تفسير الطبري (158/3).

²³² تفسير الطبري الجزء 9 (85).

²³³ المرجع السابق (85).

²³⁴ المرجع السابق (85).

وفي آيتي البقرة والأعراف إشارة إلى أنه، عليه السلام، قد جاء بالتيشير والسماحة والوسطية.

وجاء في فوائد أبي عمرو بن مندة بسند صحيح عن أبي بن كعب قال: أقراني النبي ص.م. ، "إن الدين عند الله الحنيفية السمحة لا اليهودية ولا النصرانية". قال العلائي: وهذا إنما نسخ لفظه وبقي معناه²³⁵.

2- وردت آيات كثيرة تُبين أن الله لا يُكَلِّف نفساً فوق طاقتها، ولا يُكَلِّف نفساً إلا وسعها وقدرتها، قال - تعالى - : (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)²³⁶. (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا)²³⁷. وقال: (لا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا)²³⁸ وقال - جل في علاه - : (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)²³⁹ وقال: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)²⁴⁰ وقال تعالى: (وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ)²⁴¹ وغيرها من الآيات.

الفصل الثالث : الوجوب علي القيام بالوسطية

وإنّ كثيرا ممن تردى في مهاوي الغلو أتى من الجهل بالمقاصد الشرعية، فخبط خبط عشواء وكأما ركب متن ناقة عمياء، فضل السبيل، ولم يسعد بالدليل،

²³⁵ انظر قواعد العلاتي لوحة (27)، نقلا عن رفع الحرج في الشريعة ص. (158).

²³⁶ البقرة : من الآية 286

²³⁷ الطلاق : من الآية 7

²³⁸ البقرة : من الآية 233

²³⁹ الأنعام : من الآية 152

²⁴⁰ الأعراف : من الآية 42

²⁴¹ المؤمنون : من الآية 62

وفتحوا على المسلمين بابا يلج منه أعداء الإسلام للمز الدين الحنيف، ووصفه بالإرهاب تارة، وباستهانته بالأرواح، وانتقاص حقوق الإنسان تارة أخرى، ولذلك نرى في هذه الأيام تكالب قوى الشر على المسلمين، وحقن عقول الشباب الإسلامي بهذه الشبه الباطلة، ويهدف أعداء الإسلام من هذا التشويه المتعمد، وطرح أفكار الشباب في أنياب التحيز والتشكيك إحداث ردة قوية في أمة الإسلام، وطمس محاسن هذا الدين، ومحاربة تعاليمه بواسطة ثلة من أبنائه من أهل العقوق.

و بعد قراءة ما سبق من الوسطية و أسسها و ملامحها و نظراً من خطرات الغلو في الدين، ذهب الباحث استناداً من أقوال العلماء إلى اللمحات عن العلاج في ظاهرة الغلو. و هي:

1. الاعتصام بالكتاب والسنة، فهما المصدران النيران اللذان من اعتصم بهما هدي إلى النهج السوي، والطريق القويم كما قال سبحانه: (وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)²⁴².

ولا يتم الهدى إلا بالعمل بهما معاً، والأخذ بما جاء فيهما، لأن كل واحد منهما ملتحم بالآخر غير مستغن عنه، فالسنة النبوية مفسرة للقرآن، ومفصلة لما أجمله فيه وقد وكل الله تعالى بيان القرآن إلى نبيه محمد كما قال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)²⁴³ ولذلك لا تحقق النجاة في الدنيا والآخرة إلا لمن تمسك بهما معاً، فقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْنَا بِهَذَا

²⁴² آل عمران : 101

²⁴³ النحل : 44

الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ²⁴⁴ .. الحديث، وزاد الترمذي: (وإن ما حرم رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم كما حرم الله)²⁴⁵ وهو حديث صحيح مشهور أخرجه أصحاب السنن وغيرهم. قال الخطابي²⁴⁶ فالرسول يحذر بذلك مخالفة السنن التي سنها رسول الله مما ليس له في القرآن ذكر علي ما ذهب إليه الخوارج والروافض فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن، فتركوا السنن التي قد ضمنت بيان الكتاب فتحيروا وضلوا اهـ.

قال أيوب السخيتاني: (إذا حدثت الرجل بالسنة، فقال دعنا من هذا وحدنا من القرآن، فاعلم أنه ضال مضل)²⁴⁷ . ولا مرء أن الانحرافات بأشكالها المتعددة إنما نبتت على ساحة الفكر الإسلامي كنتيجة حتمية للإعراض عن الكتاب والسنة، وترك الاستهداء بنورهما الوهاج فيكمن العلاج في الرجوع إليهما والاعتصام بهما، والأخذ بتوجيههما، ففيهما المنجاة من الغرق، والسلامة من مضلات الفرق.

قال شيخ الإسلام²⁴⁸ (وكان أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجدده، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البيّنات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم).

²⁴⁴ الترمذي العلم (2664) ، أبو داود السنة (4604) ، ابن ماجه المقدمة (12).

²⁴⁵ الترمذي العلم (2664) ، ابن ماجه المقدمة (12) ، الدارمي المقدمة (586).

²⁴⁶ معالم السنن: (8/7) ط دار المعرفة للطباعة والنشر .

²⁴⁷ رواه الخطيب في الكفاية ص (16) ط دار الكتب الحديثة: القاهرة.

²⁴⁸ مجموع الفتاوى (13 / 28) ط مكتبة المعارف بالرباط المغرب، نقلا من كتاب *وَكُنَّا لِكَ جَعَانَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا* للشيخ

عبدالعزیز بن ناصر الجلیل (<http://www.almeshkat.net>).

2- والالتزام بمذهب السلف أهل السنة والجماعة، لأن السلف هم الذين يحققون الوسطية، ويطبّقون منهج الشرع، وهم الذين يفهمون المقاصد الشرعية، والنصوص من المصدرين على الوجه الصحيح، وقد شهد لهم المصطفى بالخيرية كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ص.م. قال: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَجِيءُ مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَتُهُمْ أَيْمَانُهُمْ وَأَيْمَانُهُمْ شَهَادَتُهُمْ)²⁴⁹. فالملتزم بمذهب السلف محقق لمعنى الوسطية، معتصم بالهدى، مقيم على أمر الله.

وهم وسط في باب الإيمان والأحكام بين الخوارج والمعتزلة الذين يقولون إن مرتكب الكبيرة كافر وهو في منزلة بين الإيمان والكفر، فغلو في ذلك فجعلوا كل الكبائر والمعاصي كالزنى وشرب الخمر والسرقة... إلخ جعلوا فاعل ذلك كله كافرا خارجا عن الملة مثل من عبد غير الله، هذا غلو واضح وإن صحب غلوهم هذا الزهد والعبادة ولكن ليس هذا على هدي الرسول . والمرجئة الذين يقولون: إن العبد إذا قال لا إله إلا الله وشهد لله تعالى بالوحدانية وأقر للرسول بالرسالة فإنه مؤمن كامل الإيمان وإن عمل ما عمل وأنكروا أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

قال ابن مسعود (عليكم بتقوى الله وهذه الجماعة، فإن الله لا يجمع أمة محمد على ضلالة أبدا، وعليكم بالصبر حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر)²⁵⁰. كما قال - أيضا - : (عليكم بالطريق فإن لزمتموه لقد سبقتم سبقا بعيدا،

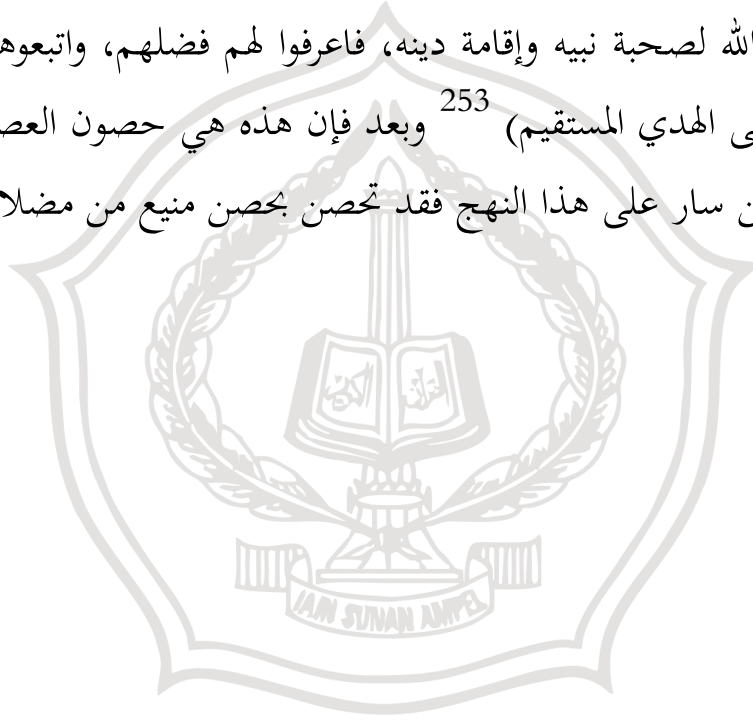
²⁴⁹ البخاري الرقاق (6065) ، مسلم فضائل الصحابة (2533) ، الترمذي المناقب (3859) ، ابن ماجه الأحكام (2362) ، أحمد (434/1). أخرجه البخاري (189) كتاب أصحاب النبي باب فضائل أصحاب النبي. وفي كتاب الرقاق (7 / 174) باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها.

²⁵⁰ رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (1 / 313 ، 314) ط دار البيان.

ولئن خالفتموه يمينا وشمالا لقد ضللتهم ضلالا بعيدا²⁵¹.

وما أنفس قوله وأجمله (عليكم بالعلم وإياكم والتبذع وإياكم والتنطع وإياكم والتعمق وعليكم بالعتيق)²⁵².

فقوله العتيق، أي: القديم الذي علم به الصحابة المهتدون ومن تبعهم بإحسان، وقال (ومن كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب رسول الله فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقهم علما، وأقلهم تكلفا، وأقومها هديا وأحسنها حالا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)²⁵³ وبعد فإن هذه هي حصون العصمة من الزيغ والضلال، فمن سار على هذا النهج فقد تحصن بحصن منيع من مضلات الفتن.



²⁵¹ المصدر السابق (1 / 332).

²⁵² رواه الدارمي (50/1) رقم (145) المقدمة: باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبذع ، واللاكائي في شرح السنة (87/1) رقم (108).

²⁵³ أخرجه ابن عبد البر: في جامع بيان العلم وفضله الجزء 2 (دار الكتب العلمية) (97).

الباب الرابع

نتائج البحث

و لله الحمد على هذه العطية حتى تمكن الباحث من انهاء هذا العمل المتواضع . اختتم هذا البحث بذكر نتائج البحث اعتمادا على ما قد مر من البحوث في هذا البحث العلمي و تابعها الاقتراح ترقية و تنمية لهذا العلم الشريف .

الفصل الأول : الخلاصة

الخلاصة المستفادة من البحث ما يالى :

تشتق كلمة (الوسطية) من وسط، و جاءت كلمة (وسط) في اللغة لعدّة معانٍ، ولكنها مُتقاربة في مدلولها عند التأمل في حقيقتها ومآلها. ويقال (وسط) لما له طرفان مذمومان، يراد به ما كان بينهما سالماً من الذمّ، وهو الغالب. وتارة يُقال لما له طرفان مذمومان. و تحرر معناه نسبة الى المفسرين وله معنيان : الأول: الخيرية والأفضلية. والثاني: التوازن والعدل والقيام بالحق، والبينية بين الإفراط والتفريط. و له أسس لفهم الوسطية هي : لا يطرد عن شرطي الخيرية والبينية وهي الغلو أو الإفراط و الجفاء أو التفريط و الوقوف علي صراط المستقيم و المقياس لتحديده هو الشرع. و للوسطية ملامح و سمات تحفّ بها، وتُميّزها عن غيرها، بمجموع تلك الملامح لا بأحاديها. و هي : الخيريّة. الاستقامة. اليسر ورفع الحرج. البينيّة. العدل والحكمة.

ومن آراء المفسرين في الوسطية : يتبين لنا فهم واضحٌ محددٌ لمعنى الوسطية المذكورة في صفة هذه الأمة وكونها أمة وسطاً. وهذا الفهم يتحدد في معنيين هما: الأول: الخيرية والأفضلية، والثاني: التوازن والعدل والقيام بالحق، والبينية بين الإفراط والتفريط. وكلا المعنيين داخل في الآخر؛ فإن الخيرية والأفضلية لم تتصف بها هذه الأمة إلا لكونها قائمة بالعدل والقسط والحق. ولكونها وسطاً بين الغالي والجافي. وكل من قام بالعدل والحق فهو الأولى بصفة الخيرية والفضل.

الوسطية ليست محصورةً في جزئية من الجزئيات، بل ولا في ركن من الأركان. وإنما هي منهج متكاملٌ شاملٌ، لا ينفصل بعضه عن بعض، فالإسلام كله وسطٌ، ولذلك فهذه الأمة هي أمة الوسط. وهذا مقررٌ في كتابه تعالى علي شمول هذا المنهج إما في خلقه وشرعه. و من تبع و أقام بمنهج "الوسطية" بكلّ جهده و قوّته فقد سلم، و من أتى بانحراف مفهومه و خرج من هذين شرطين و لا يستقيم في سبيل الحقّ بل استند علي منهج البشرية فقد اختلف : (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)²⁵⁴. و من بعض العلاج لمن خرج عنه : أ. الاعتصام بالكتاب، والسنة ب. الالتزام بمذهب السلف أهل السنة والجماعة.

الفصل الثاني : الاقتراح

قدم الباحث الاقتراح بعد أن تم البحث ، و الاقتراح كما يلي :

(1) وجب علي كلّ مسلم الوقوف في الوقفات التربوية من ضوء القرآن الكريم بعد بيان عظمة هذا الدين، وشموله وكماله، وتوازنه وعدله، وأثر ذلك في توازن وضبط الأفكار والحركات والمواقف ودفعتها إلي فعل الخير المثمر في الدنيا والآخرة.

(2) وعلينا الرجوع في تحرير مفهوم الوسطية كما جاء عن السلف الصالح رضي الله عنهم وهو أسلم.



قائمة المراجع

أولاً: القرآن الكريم:

ثانياً: المصادر والمراجع العامة:

- فزل الرحمن، *Tema Pokok Al-Quran*، المترجم : أنس محيودين، فستاكا: بندوع ، 1996.
- القرضاوي، *Karakteristik Islam : Kajian analitik* ترجمة رافع منور و تاج الدين، رسالة كوستي بسورابايا 1995.
- أديان حسيني، *Hegemoni Kristen-Barat* كيما انساني، جاكرتا 2006.
- يوسف القرضاوي، *الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم*، مكتبة وهبة 1995.
- عبد السلام، *معالم الطريق الي البحث والتحقيق*، دار الكتاب الجامعي، القاهرة: بدون السنة.
- حلمي محمد فوزة و عبد الرحمن صالح، *المرشد في كتابة الأبحاث*، دار الفكر بيروت 1992 م.
- لويس مألوف، *المنجد في اللغة والأعلام*، دار المشرق، بيروت 1986 م.
- أحمد شبلي، *كيف تكتب بحثاً أو رسالة* (مكتبة النهضة الإسلامية الطبعة السادسة - 1997
- سوهرسيني أريكتو، *Prosedur Penelitian :Suatu Pendekatan* (رينيكا جبتا الطبعة الثالثة عشرة- 2006

- أنتون بگر، *Metodologi Penelitian Filsafat* (كنيسوس، يوكياكرتا 1996
- شرقاوي ظافر، *Ringkasan Pengantar Sosiologi* (الطبعة الثالثة دون المدينة
2000
- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد الرغب الأصبهاني، تحقيق
محمد سيد كيلاي، دار المعرفة، بيروت، لبنان. دون السنة.
- إغاثة اللفهان، ابن القيم، دار المعرفة، بيروت، دون السنة.
- الإيمان والحياة يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة العاشرة،
1405هـ / 1984م.
- التشريع والفقہ الإسلامي، مناع القطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة،
1407هـ / 1987م.
- التفسير القيم، ابن القيم، تحقيق حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت،
1398هـ.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الكتب العربي، القاهرة، 1987م، الطبعة
الثالثة.
- العقيدة في الله، د. عمر الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الخامسة،
1974م.
- القاموس المحيط، لمجد الدين الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة.

- المنهاج القرآني في التشريع، د. عبد الستار فتح الله سعد، مطابع دار الطباعة الإسلامية، الطبعة الأولى، 1413هـ / 1992م.
- الموطأ للإمام مالك بن أنس، تصحيح وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.
- الوسطية في ضوء القرآن، د. ناصر العمر، دار الوطن، الرياض الطبعة الأولى، 1414هـ / 1993م.
- الوسطية في الإسلام، محمد عبد اللطيف القرفور، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى 1414هـ / 1993م.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: عبد العزيز غنيم، وحمد أحمد عاشور، ومحمد إبراهيم البناء، مطبعة الشعب القاهرة.
- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، الطبعة الثانية، بيروت.
- تفسير القاسمي، محمد جمال الدين القاسمي، راجعه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1398هـ، 1978م.
- تهذيب مدارج السالكين، لابن القيم، هذبه عبد المنعم صالح العلي العزي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1409هـ / 1989م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، 1405هـ.

- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، لسيد قطب، دار الشروق، الطبعة السابعة، سنة 1402هـ.
- خصائص الشريعة الإسلامية، عمر الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى، 1982م.
- روائع البيان تفسير آيات الأحكام لمحمد علي الصابوني، دار القلم، الطبعة الأولى، 1411هـ / 1990م.
- زاد المسير في علوم التفسير، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الخامسة، 1405هـ / 1985م.
- سنن أبي داود سليمان بن الأشعث، تحقيق عزت عبيد الدعاس، حمص، الناشر محمد السيد. سوريا 1388هـ.
- سنن الترمذي، لأبي عيسى الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة دون السنة.
- سنن الدارمي، دار الدعوة، تركيا 1401هـ.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية، 1402هـ / 1982م.

- صحيح البخاري، محمد إسماعيل البخاري، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1411هـ/1991م.
- صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية، بالأزهر، الطبعة الأولى، 1347هـ/1929م.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، تصحيح وتعقيب عبد العزيز بن باز، دار الفكر، 1411هـ/1990م.
- لسان العرب لابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت دون السنة.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1392هـ.
- معجم الأدباء، لياقوت الحموي، إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة 1408هـ/1988م.
- معجم مقاييس اللغة لابن فارس أبي الحسين بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، إيران.
- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دون السنة.
- الشيخ عبدالعزيز بن ناصر الجليل، كتاب وكذلك جعاناكم أمةً وسطاً
(<http://www.almeshkat.net>).